

الهدي النبوي في التداوي بالأدوية المفردة

وأيسر أساليب العلاج في الطب القديم

"Treatment with single medications

A prophetic guidance

And the easiest treatment method in ancient medicine"

أ.عبد الله بن مصطفى بن محمد العلوي المدني

باحث في شؤون المخطوطات وقضايا الطب النبوي والطب القديم

a.alalawi313@gmail.com

ملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين وآخرين، سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن هدي النبي ﷺ في حفظ الصحة الإنسانية، بشقيها الروحي والبدني الجسماني، هو أكمل هدي على وجه الأرض وأعظمه، كما تثبته الدلائل العلمية المتضافرة، وتثبته البحوث العلمية الكثيرة، ومثله هدي ﷺ في التداوي من المرض، فإنه أكمل وأعظم وأنفع منهج في دفع شر الأمراض عند وقوعها.

وهدي ﷺ في الجانبين: جانب قواعد حفظ الصحة، وجانب التداوي؛ هو الذي اصطلح على تسميته باسم «الطب النبوي»، وهو الطب الذي لا زلنا نحن المشتغلون والمهتمون به نرى آثاره المذهلة، حتى صار الكثير منا على يقين من أن فيه الشفاء من جميع الأمراض على وجه الإطلاق، بما فيها تلك الأمراض التي توصف في العصر الحديث بأنها مستعصية، ولا يمكن الشفاء منها البتة.

ومن بعد «الطب النبوي» يأتي «الطب القديم» المنسوب أولاً إلى حكماء وأطباء اليونان من أمثال جالينوس وأبقراط، ومن سار على منهجهم من أطباء العرب المشاهير من أمثال الرئيس ابن سينا والرازي وابن النفيس.

وهذا «الطب القديم» تشير غالب الأدلة والقرائن إلى أن أصوله كلها متلقاة عن أنبياء متقدمين، فهو أيضاً طبُّ نبويٍّ، طوَّره الأطباء على ممر الزمان، وزادوا فيه شيئاً كثيراً مما فتحه الله تعالى عليهم بسبب طول الممارسة، والتعمق في فهم أصوله الأولى وقواعده المتلقاة عن الحكماء الأوائل.

وهذان النوعان من الطب: «الطب النبوي» المتلقى عن النبي ﷺ، و«الطب القديم» المنسوبة أصوله للأنبياء المتقدمين، فهما الكثير من أوجه التشابه، والكثير من نقاط الالتقاء، لكن مع الفارق الكبير في جانب اليُسْر والسهولة والوضوح الذي يتميز به طب النبي ﷺ، في مقابل التعقيد والصعوبة اللتين يتصف بهما الطب القديم.

وأما الطب الحديث، فبالرغم مما حصل فيه من التقدم المذهل، في معرفة تركيب الجسم الإنساني، ومعرفة الكثير من أسرار وظائف أعضائه، وكذلك ما يؤثر عليها صحةً ومرضاً من الأغذية والأدوية، واستخلاص المواد الفعالة في هذه الأغذية والأدوية بالطرق الكيميائية والمخبرية، وتصنيعها في صور مختلفة، سهلة التناول، وكذلك ما حصل فيه من التقدم الكبير في إجراء العمليات الجراحية، فإنه لا يزال يُرى عاجزاً عن علاج الكثير من الأمراض، أو علاجها مع ابتلاء المريض بإيجاد وإنبات أمراض أخرى، جراء التأثيرات الجانبية للأدوية الكيميائية، أو الإشعاعية.

ولا يخفى على أهل العصر ما يُرى من عجز الطب الحديث حتى الآن في علاج بعض الأمراض الشائعة في الناس، مثل داء السكري، وداء الربو، والكثير من أنواع الأورام السرطانية، وداء ضغط الدم، والقولون العصبي، وأنواع من الأمراض الجلدية، وداء العقم، وغيرها.

هذا، مع ما لا يخفى أيضاً من وجود الجانب التجاري الخطير في التداوي بالطب الحديث.

وفي عقد المقارنة بين هذه الأنواع الثلاثة من «الطب» أسطر بحثي المختصر هذا، وأرمي من خلاله إلى الدعوة إلى إعطاء «الطب النبوي» حقه من الاهتمام، أكثر مما هو حاصل، وكذلك «الطب القديم»، وتقديمهما على الطب الحديث، واستنفاد الوسع في سلوك سبيلهما في مداواة الأمراض، قبل الالتجاء إلى الطب الحديث، وذلك لأسباب كثيرة سوف يأتي ذكرها وبيانها إن شاء الله، لكن على رأسها في جانب الطب النبوي ما نؤمن به من قطعية نتائجه، وأن النتيجة المرجوة إن لم تظهر فبسبب قصور في الفهم أو التطبيق.

وقطعنا بصحة الطب النبوي وحصول النتيجة المرجوة من التداوي به، تابع لقطعنا بصدق نبينا ﷺ في جميع ما يُخبرُ به، وإيماننا بأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، وأن هديّه كله في جميع شؤون الحياة هو الهدى المضمون والأعظم والأرفع.

الكلمات المفتاحية: الهدي النبوي، الطب النبوي، الطب القديم، حفظ الصحة، التغذية العلاجية، الأدوية المفردة، الكندر، الصمغ العربي، القسط الهندي.

Abstract: The guidance of the Prophet, peace and blessings be upon him, in preserving human health, in both its spiritual and physical aspects, is the most complete and greatest guidance on the face of the earth, as proven by the combined scientific evidence and the numerous scientific studies. Likewise, his guidance, peace and blessings be upon him, in treating illness is the most complete, greatest and most beneficial method in repelling the evil of illnesses when they occur.

His guidance, peace be upon him, was on both sides: the side of the rules of health preservation, and the side of treatment. This is what is commonly called "Prophetic Medicine." This is the medicine that we, who

are engaged in it and interested in it, still see its amazing effects, to the point that many of us have become certain that it contains a cure for absolutely all diseases, including those diseases that are described in the modern era as incurable and cannot be cured at all.

After “Prophetic Medicine” comes “Ancient Medicine,” which is primarily attributed to Greek sages and physicians such as Galen and Hippocrates, and to the famous Arab physicians who followed their path, such as Ibn Sina, Al-Razi, and Ibn Al-Nafis.

This “ancient medicine” is one of the most evident and significant principles that all of its origins were received from earlier prophets. It is also prophetic medicine, developed by physicians over time, and they have added to it many things that God Almighty has opened up to them due to long practice and deep understanding of its original principles and rules received from the early sages.

Keywords: Prophetic guidance, prophetic medicine, ancient medicine, health preservation, therapeutic nutrition, single medicines, frankincense, gum arabic, Indian costus.

المقدمة

إننا - في الشريعة الإسلامية- مأمورون بالسعي في متابعة سنته ﷺ، وهي السُّنة التي لم يحصل فيها الغفلة عن أي شيء، فنحن مأمورون بمتابعته ﷺ في هُدْيِهِ في الطعام والشراب، والنوم والاستيقاظ، والحركة والرياضة، وفيما يؤثر على الأبدان الإنسانية من استفراغ السموم والأخلاط الضارة، بالصوم والاستمشاء الدوري بالمسهلات، والحجامة، و التداوي بما أوصى ﷺ بالتداوي به، فكل ذلك مطلوبٌ بمتابعته فيه ﷺ، ومضمون نتائج متابعته فيه، ومقطوع بوجود الكمال فيه من جميع الجهات.

ولا يخفى على فرد من أفراد الأمة كثرة نصائح النبي ﷺ وتوجيهاته المتعلقة بحفظ الصحة الإنسانية، البدنية والروحانية، وكثرة ما وصفه من الأدوية في علاج الأمراض المختلفة، ونرى كيف أن الحفاظ وعلماء الحديث قد خصَّصوا في مصنفاتهم أبواباً في رواية أحاديثه ﷺ المشتملة على ذلك، ابتداءً من الإمام البخاري وبقية أصحاب الكتب الستة، ثم أصحاب المعاجم والسنن، وانتهاءً بأصحاب الموسوعات الحديثية الجامعة، التي لا يكاد يخلو كتاب منها من باب خاص في ذكر طِبِّهِ ﷺ؛ بل قد صنف بعضهم كتباً مفردة خاصة بذلك، كالإمامين النسائي والحافظ أبي نُعَيْم، والحافظ المستغفري، والفقيه المالكي عبد الملك بن حبيب تلميذ تلاميذ الإمام مالك، والموفق البغدادي، والحافظ الذهبي، والحافظ السيوطي، وغيرهم.

وأما العلماء المصنفون في علوم السيرة النبوية والشمال الشريفة، فقد خصَّص كثيرٌ منهم باباً أو فصلاً في جمع أحاديث طِبِّهِ ﷺ، وهي الأحاديث التي تبلغ من الكثرة ما يملأ المجلد، وهذا نراه في كتاب «سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير

العباد» للحافظ الصالح الشامي، ونراه في كتاب «المواهب اللدنية» للقسطلاني، ونراه في كتاب «زاد المعاد» لابن القيم، وغيرها من المصنفات.

والحاجة إلى الالتجاء إلى الطب النبوي في معرفة قواعد الصحة العامة، ومعرفة علاج الأمراض المختلفة، صارت ملحة وضرورية في عصرنا، وكذلك الأمر بالنسبة لقواعد الطب القديم، وطرق العلاج بالأدوية الطبيعية فيه، والمتشعبة في كتبه تشعباً كبيراً.

حيث تفاقم أمر فتك الأدوية الكيميائية بالبشر، فالكورتيزون الصناعي على سبيل المثال، وهو المضاد الكيميائي الذي يستعمل على نطاق واسع، يعرف الجميع ما يسببه استعماله من آثار خطيرة على الصحة، كقصور الكبد، والكلية، وزيادة الوزن، وانتفاخ أعضاء الجسم، ومشاكل كثيرة في البشرة والدهون، وقس عليه بقية الأدوية الكيميائية، فآثارها الجانبية خطيرة جداً، وأما أبعاد قضية التجارة بها، وابتزاز الدول الصانعة لها للدول المستهلكة فقضية معروفة، وتفصيلها فاضحة مريرة.

مع أن في العلوم الطبية الحديثة علماً مطابقاً للقواعد الأساسية في علاج الأمراض في الطب القديم، والتي تقوم -كما سنذكر بعد قليل- على تغذية المريض بالأغذية التي تقاوم الخلط المستولي على البدن، والمسبب للمرض، وتعيده إلى حالة الاعتدال التي يزول معها تسلط ذلك الخلط على البدن، وترتفع معها قوة مناعة الجسم ضد السموم.

وهذا العلم الحديث المطابق لقواعد الطب القديم هو علم العلاج بالأغذية، أو ما يُسمى بعلم «التغذية العلاجية»، إلا أنه مهملاً في المستشفيات إهمالاً عجيبيّاً.

فالتركز على أساليب العلاج الواردة في الطب النبوي، وممارستها وتطبيقها خصوصاً من قبل المختصين، مع تسخير العلوم التطبيقية والمخبرية لخدمتها

واكتشاف ما فيها من كنوز علاج الأمراض والوقاية منها، بات ضرورة ملحة في عصرنا الحالي.

وكذلك الشأن في الطب القديم، الذي قلنا إن غالب الأدلة والقرائن تشير إلى أن أصوله كلها متلقاة عن أنبياء متقدمين، ومتلقاة أيضًا عن أولياء لله تعالى ملهمين أو محدثين، ثم لم يزل تلاميذهم ومن جاء من بعدهم من الأطباء المختصين يزيّدون فيه ما تظهره لهم التجارب والقياس والمشاهدة، حتى صار علمًا دقيقًا له قواعده وأساسه المنهجية المنطقية العجيبة.

وسوف أذكر نبذة يسيرة عن أسس العلاج في الطب القديم في الفصل الثاني عند الكلام عن مصادر معرفة طبائع الأدوية وقواها.

هذا، مع وجوب التنبيه إلى ما نراه في «الطب النبوي» من انقسام الأمر إلى قسمين: قسم في تناول جميع الناس فعله وتطبيقه، وقسم لا يجوز أن يتصدى له سوى الطبيب الماهر الممارس الذي استكمل جمع أركان الأهلية في تطبيب الناس.

وهذا الجانب الثاني هو في الطب القديم أشدّ وأكّد، لما في هذا الطب مما ليس متلقًى في الأصل عن الأنبياء السابقين، وإنما هو من تجارب الأطباء والعشايين، ونتاج خبراتهم الطويلة المتوارثة في التطبيب، والتي فيها الكثير من الأساليب الغامضة والمعقدة، والتداوي بالعقاقير الخطيرة والنادرة.

حسبنا في هذا البحث المختصر، أن نلفت الانتباه إلى وجوب العودة إلى الاهتمام بالطب النبوي، والاهتمام كذلك بالطب القديم، ووضع منهج علمي يقوم بوضعه علماء مؤهلون، وأذكر ما أرى أنه الطريق الأسهل والأسرع والأمثل في سبيل تحقيق ذلك، من وجهة نظري، الصادرة عن خبرتي المتواضعة في هذا المجال، والتي كانت بدايتها ما تلقّيته من مبادئ وقواعد الطب القديم عن والدي رحمه الله، والذي أهداني -وأنا في سن الرابعة عشر من عمري- نسخته من كتاب «الجامع لقوى الأدوية» لابن البيطار، واشترى لي كتاب «المعتمد» لابن رسول الغساني، ثم «تذكرة

أولي الألباب» لداود الأنطاكي، وشرح لي الكثير من معاني مصطلحاتهم وقواعدهم، وشجّعني على ممارسة تركيب الأدوية، بل صار يعتمد عليّ اعتمادًا كليًا في جميع ما يحتاجه لشخصه من العلاج، فيما كان يعرض له من الأمراض المختلفة، إلى أن توفاه الله، رحمه الله تعالى وجزاه عني خير الجزاء، وجمعي به تحت لواء سيد الخلق ﷺ. سوف أذكر بعض تجاربي الشخصية في خاتمة هذه الرسالة، والله تعالى وليّ الهداية والتوفيق.

في ذكر الأمور التي يحصل بها إحياء الطب النبوي والطب القديم من أجل القيام بإحياء ما في الطب النبوي من الكنوز والمنافع العظيمة، وكذلك ما في الطب القديم من ذلك؛ فإننا في حاجة إلى تسعة أمور:

أولها: القيام بعمل موسوعي نجمع فيه جميع الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالطب المروي عنه ﷺ، وكذلك الآثار المتعلقة بالطب المروية عن ساداتنا الصحابة رضي الله عنهم، الذين على رأسهم آل بيته، ومن جاء من بعدهم من أئمة العلم، وذلك من خلال القراءة المتأنية لكتب السنة النبوية، والقراءة المتأنية لكتب التراجم، أي كتب تراجم الصحابة وتراجم أئمة العلم، فهناك الكثير من المعلومات المتعلقة بالغذاء والدواء في ثنايا هذه التراجم.

فنجمع ما نستطيع جمعه مما جاء عن النبي ﷺ، وما جاء عن الصحابة وأئمة العلم، فيما يتعلق بالصحة الإنسانية، ثم يقوم علماء الحديث المتخصصون بالنظر في أسانيدنا حتى يعرف الثابت منها من غيره.

ثانيها: جمع كل ما نستطيع جمعه من الكتب المصنفة في الطب النبوي، المخطوطة والمطبوعة.

ثالثها: فهرسة المادة العلمية الموجودة في هذه الكتب فهرسة دقيقة، وترتيبها في أبواب وفصول.

رابعها: جمع ما نستطيع جمعه من الكتب المصنفة في الطب القديم، والتي لا يزال المئات منها مخطوطاً لم يُطبع، ويكون جمعها في مكنز رقمي موحد، ونحن في زمان بات فيه جمع هذه المصنفات سهلاً ميسوراً، لما هو حاصل من سهولة الوصول إلى الكتب المخطوطة المحفوظة في خزائن المخطوطات في أرجاء العالم؛ جراء ظهور رقمنة المخطوطات، وانتشار مصوراتها الرقمية، حتى أنه انتشر وجود المصورات الكاملة لجميع محتويات الكثير من الخزائن والمكتبات في العالم.

خامسها: القيام بفهرسة هذه المصنفات الطبية، ومن ثم كتابة ملفّات موضوعية، يجمع في كل ملفّ منها ما ذكره جميع المصنفين في القضية الواحدة المعينة.

فيكون العمل بمجمله بمثابة قاعدة البيانات، والتي يمكن الوصول من خلالها إلى جميع ما ورد عن النبي ﷺ، وكذلك جميع ما قاله الأطباء القدماء في كل قضية على حدة.

سادسها: إخضاع جميع هذه النصوص للدراسة، بتكليف باحثين مختصين من المشتغلين بالعلوم الطبية المعاصرة، تكليفهم بدراستها، واستخراج القواعد الموجودة فيها، وخصوصاً تلك التي يثبتها العلم الحديث.

سابعها: إنشاء نادٍ أو جمعية أو هيئة يجمع فيها أسماء المشتغلين بالطب النبوي أو الطب القديم، سواء من الباحثين المتخصصين، أو المحققين للكتب المصنفة في النوعين، أو المعالجين الممارسين للعلاج بهما، أو العشّابين والعطارين، ثم توضع خطة من أجل إشراك الجميع في مشروع إحياء العلاج بالطب النبوي والطب القديم. فالباحثون المتخصصون، وكذلك محققوا الكتب المطبوعة المصنفة في الطب، لا يقل عنهم أهمية أولئك الممارسون للمداواة بالطب النبوي والطب القديم، وكذلك العشّابون والعطارون، حيث لا يخفى على أحد أنه يوجد في كل مجتمع بل في كل بلد جماعة من العطارين والعشّابين، وجماعة من المشتغلين بالعلاج وصناعة

الأدوية، ونجد فيهم من طالت ممارسته لذلك وصار عنده الخبرة والمجربات الشخصية، فتكون هذه الجمعية أو الهيئة بمثابة المجمع الذي يتعارفون من خلاله، فتجتمع جهودهم وخبراتهم، ويستفيد بعضهم من بعض، ويكون نفع ذلك كبيراً، وهذا الباب من أعظم أبواب التعاون على البر الذي حثنا الله تعالى عليه، بل أمرنا به في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

ثامنها: وهو خاص بالطب القديم، إنشاء مراكز بحثية عصرية، تقوم بدراسة المعلومات الموجودة في كتب الطب القديم دراسة عصرية دقيقة، وتضع فيه مناهج دراسية يمكن من خلالها تدريس قواعد وأصول الطب القديم في الجامعات العصرية، ومن ثمّ تخريج أطباء مهرة متمكنين في علم الطب القديم. تاسعها: إنشاء مختبرات ومراكز بحث صيدلانية، تعمل على استخلاص المواد الفعالة من الأدوية المستعملة في الطب النبوي والطب القديم، وتركيبها في الصورة الدوائية المعاصرة، من ثم طرحها للاستعمال من خلال الصيدليات.

المقاصد التي من أجلها كتب هذا البحث

كان لي في كتابة هذا البحث مقاصد ستة، أسأل الله تعالى التوفيق في بلوغها، وهي الآتية:

المقصد الأول: توجيه نداء والتماس إلى المتخصصين والباحثين في الطب النبوي والطب القديم، وكذلك إلى المؤلفين والمحققين للكتب المصنفة فيهما، والممارسين للعلاج وصناعة الأدوية والعشابين والعطارين، من أجل القيام بإنشاء هذه الجمعية المذكورة، النافعة إن شاء الله.

المقصد الثاني: توجيه نداء إلى قادة الأمة الإسلامية وعلمائها ومفكرها وأصحاب القرار فيها، وعلماء العلوم الطبية المختلفة، من أجل رعاية هذا العمل، ودعمه ومساندته والحث عليه.

المقصد الثالث: تقديم أمثلة بسيطة على ما يحصل من الفوائد العظيمة
 جزاء جمع المعلومات المتعلقة بالقضية الواحدة من القضايا الطبية.
 وقد اخترت أن أركز في هذا البحث المختصر على قضية العلاج بالأدوية المفردة، والتي يلحق بها العلاج بالأدوية المركبة تركيباً سهلاً بسيطاً، وليس تلك المركبة تركيباً معقداً صعباً، حيث أن العلاج بالأدوية المفردة، وكذلك المركبة تركيباً بسيطاً سهلاً، يستطيعه في الغالب عموم الناس.

فالعلاج بالأدوية المفردة، وكذلك المركبة تركيباً بسيطاً هو أحد أهم
 الجوانب التي تحتاج إلى الإحياء العاجل، والتي سوف تفتح الباب -إن شاء الله- لإحياء بقية الجوانب، بما فيها تلك المعقدة التي تحتاج إلى تفرغ جماعة من المتخصصين.
 وأما الجوانب الأخرى التي يتكوّن منها الطب القديم فهي معروفة، وسوف يشتد ظهورها ووضوحها والتعرف عليها عند جمع كلام الحكماء والأطباء والعشابين القدماء جمعاً مستفيضاً، ثم فهرسته وترتيبه على أبواب هذا العلم، باباً باباً، وفرعاً فرعاً، ابتداءً بكلامهم في تركيب الكون مما يسمونه بـ «الاسطقسات الأربعة»، أي «الأركان الأربعة»، ثم كلامهم على الأخلاط، والأمزجة، ثم تشريح الأعضاء ووظائفها، وانتهاءً بكلامهم في علاج الأمراض المتعلقة بكل عضو، والتدرج في علاجه ابتداءً من الاستفراغ بأحد طرق الاستفراغ، والذي يكون بالإسهال، أو بالقيء أو بالعطاس، أو بالفصد أو بالحجامة، أو بالتعرق بدخول حمام البخار، وكلامهم في الأدوية المفردة، ثم الأدوية المركبة منها، وقوانين تركيبها التي يسمون كتبها بـ «الأقرباديين»، وقواعد المعالجة بها.

فالعلاج بالأدوية المفردة، هو أحد الجوانب المهمة في كلا القسمين: الطب النبوي والطب القديم.

وقد اخترت في هذا البحث ثلاثة أدوية مفردة، نقلت غالب ما ذكره الأطباء في خواصها، لتكون مثلاً على بقية العقاقير والأدوية.

وهذه الأدوية الثلاثة التي اخترتها مثلاً وأنموذجاً هي: الكندر، والصمغ العربي، والقسط، وقد وقع اختياري عليها بسبب توفرها، ومعرفة عامة الناس بها في البلدان المختلفة.

فيكون هذا الجمع المختصر لما ذكره الأطباء والعشابون في خواص هذه الأدوية المفردة الثلاثة أنموذجاً لأهمية جمع المادة الطبية المتعلقة بالدواء المفرد الواحد، ويكون ذلك أيضاً مثلاً للبحوث المطلوب إنجازها في بعض فروع العمل الموسوعي الذي نحتاجه من أجل إحياء علم الطب القديم، وجني ما فيه من الثمرات العظيمة في أنواع العلاج.

المقصد الرابع: إثبات رفعة قدر الطب النبوي، المروي عن النبي ﷺ، وإعجازه في جميع أبواب الطب على الإطلاق، وذلك بتقديم مثال على مداواته لمرض معين من الأمراض الشائعة، وإظهار الفرق بينه وبين العلاجات الموجودة لذلك المرض نفسه، سواء في الطب القديم، أو في الطب الحديث، من جهة السهولة ومن جهة سرعة التأثير.

وقد اخترت مرض «التهاب اللوزتين»، أو ما يسميه العرب بمرض «الخوانيق»، أو «العذرة».

المقصد الخامس: تقديم مثال على غفلة غالب الأطباء القدماء المسلمين المشتغلين بالطب القديم، غفلتهم عن طب النبي ﷺ للأسف مع شدة بحثهم وحفظهم لأقوال أطباء اليونان في غالب فروع الطب، وهذه الغفلة نراها واضحة في أمثال كتاب «القانون» لابن سينا، وكتاب «الحاوي» للرازي، و«التيسير» لابن زهر.

فالعلاج الذي علمه النبي ﷺ لأُمته في علاج «التهاب الحلق» و«التهاب اللوزتين واللهاة» والمسمى بمرض «العذرة» أو «الخوانيق»، وهو العلاج الثابت في الحديث الصحيح عنه، لا نجد له ذكراً في جميع كتب الأطباء التي وقفنا عليها.

وسوف أُبين ما وجدناه بالتجربة من الفعالية العجيبة الخارقة للدواء الذي وصفه النبي ﷺ وما يتميز به هذا الدواء من حيث سهولة التداوي به، ومن حيث فعاليته الأنية المدهشة، فليس فيه شيء من تعقيدات تركيب الأدوية الموجودة عند الأطباء القدماء، مع ما في استعماله من حصول السلامة من مخاطر الأدوية الكيميائية الحديثة، وآثارها الجانبية الضارة والخطيرة، ومثله السلامة من الالتجاء إلى الاستئصال الجراحي للوزتين والذي كثيراً ما يكون الحل النهائي في معالجة المرض، بالرغم من أن أول من قام بهذه العملية الجراحية واخترع جهازاً لاستئصال اللوزتين هو أبو القاسم الزهراوي الأندلسي الذي عاش في القرن الرابع الهجري، وهو صاحب كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» الذي يعد أحد أعظم كتب الطب وعلم الجراحة الطبية.

المقصد السادس: تقديم مثال على ما في كتب الأطباء القدماء من الأمور المتفقة، والأمور المختلفة، أي ما نجده من أنواع وأساليب العلاج المذكورة أحياناً عند جميعهم أو غالبهم، مع ما نجده كذلك مما ينفرد به بعضهم دون بعض، والذي يكون مصدره عادة مجرباتهم الشخصية النابعة من خبرتهم وممارساتهم الطويلة في التطبيب.

وهنا نأتي إلى تقسيم البحث إلى أبواب أربعة:

الباب الأول: في ذكر أهمية إحياء التداوي بالأدوية المفردة، وفيه خمسة فصول.

الباب الثاني: فيما جاء في خواص «الكندر» الذي هو «اللبان».

الباب الثالث: فيما جاء في خواص «الصمغ العربي».

الباب الرابع: فيما جاء في خواص «القسط» وفيه أربعة فصول.

الباب الأول

في ذكر أهمية إحياء التداوي بالأدوية المفردة

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول: في تعريف مبسط بقواعد الطب القديم

العلاج في الطب القديم قائم على قواعد كثيرة متعلقة بجانبين، أولهما: جانب الأبدان وما يعتريها من الأمزجة والأخلاق، وثانيهما: جانب الأدوية، والأغذية: طبائعيها وقواها.

أما جانب الأبدان فإنه قائم على اعتقاد الحكماء القدماء بأن الله تعالى خلق الدنيا وما فيها من أربعة أشياء، وهي: الماء، والهواء، والتراب، والنار، وهي التي يسمونها باسم «الإسطقسات»، ويسمى الرئيس ابن سينا «الأركان الأربعة»، فهي أجزاء أولية يتركب منها بدن الإنسان وغيره من المخلوقات، ولا يمكن أن تنقسم إلى أجزاء أخرى مختلفة الصورة.

وجعل الله لكل منها طبعاً يختص به، فالماء طبعه البرودة، والنار طبعها الحرارة، والهواء طبعه الرطوبة، والتراب طبعه اليابوسة.

وفي الجسم الإنساني أعضاء يختص كل منها بطبع من هذه الطبائع، أي أنه هو الغالب عليه، فالقلب مختص بالحرارة، والدماغ بالبرودة، والكبد بالرطوبة، والعظام باليبوسة.

فالأركان الأربعة، وطبائعيها موجودة في الجسم الإنساني، و لكل منها مركز ومقرّ في الجسم، وهي ظاهرة فيه في صورة أربع مواد حسية، وهذه الصور المادية الأربع هي: الدم، والبلغم، والسوداء، والصفراء.

وسموا هذه الصور المادية باسم «الأخلاق» فيقولون: خلط الدم، و خلط البلغم، و خلط السوداء، و خلط الصفراء.

وسبب تسميتهم إياها بالأخلاق، أن كل صورة منها يختلط فيها طبعان اثنان،

فالدّم يختلط فيه الحرارة مع الرطوبة، فيسمى لذلك: «خلط الدم» ومركزه في الجسم هو «الكبد».

والصفراء يختلط فيها الحرارة مع اليبوسة، فتسمى لذلك «خلط الصفراء»، ومركزها في الجسم هو «المرارة».

والبلغم يختلط فيه البرودة مع الرطوبة، فيسمى لذلك: «خلط البلغم»، ومركزه في الجسم هو «الرئة».

والسوداء يختلط فيها البرودة مع اليبوسة، فيسمى لذلك: «خلط السوداء»، ومركزها في الجسم هو «الطحال».

ولكنهم أطلقوا على الحال الذي يغلب على الإنسان مصطلح «المزاج»، وقالوا بأن الطبع الواحد يمكن أن يستولي على الإنسان، مثلما أنه قد يستولي عليه الخلط المركب من طبعين .

فصارت الأمزجة التي تعتري البدن تسعة: أولها المزاج المعتدل، وأربعة أمزجة خارجة عن الاعتدال يغلب فيها الطبع الواحد، وهي: المزاج الحار، والبارد، والرطب، واليابس، وأربعة أمزجة خارجة عن الاعتدال يغلب فيها تركيب طبعين مع بعضهما، وهو ما قلنا بأنهم اصطالحوا على تسميته بالخلط، وهي: الحار الرطب، والحار اليابس، والبارد الرطب، والبارد اليابس.

فالطبائع الأربع موجودة دائماً في الجسم الإنساني، وموجود فيه الصور الأربع لاختلاط بعضها ببعض، ومجموع ذلك هو الأمزجة الثمانية، وتكمن صحته في اعتدال وجودها فيه، وهو ما يسمى بالمزاج المعتدل.

ولأننا ندرك أن المزاج الذي يغلب فيه الطبع الواحد، أي الحار، أو البارد، أو الرطب، أو اليابس، لا يمكن أن يهيمن وحده على البدن الإنساني دون تركّبه مع غيره، إلا من جهة اعتبارية، أي جهة عقلية نظرية، أي أنها لا يمكن أن تحصل في الواقع؛ صارت المعالجة الطبية تعتمد على التعامل مع الأخلاط الأربع التي ذكرناها.

فالأخلاط الأربعة هي الموجودة فعلاً في الجسم الإنساني، وكل خلط منها يقويه ويغذيه أنواع من الطعام والشراب الذي يتناوله الإنسان، ويقويه كذلك أنواع من العادات والحركات التي يفعلها، ويقويه أنواع من الطقس الخارجي والبيئة المحيطة به.

وتكمن صحة الإنسان في اعتدال هذه الأخلاط الأربعة فيه، وفي المقابل فإن زيادة كل خلط واستيلائه على معظم طبيعة الجسم يتولد منه الأمراض التي توصف بأن مصدرها هو غلبة ذلك الخلط، ويكون العلاج قائماً على تناول الأدوية المضادة لذلك الخلط، أي التي تقوي الأخلاط المضادة.

فعلى سبيل المثال فإن الصداع، يعتبر مرضاً دموياً، أي أنه ناتج عن زيادة وقوة «خلط الدم» ويكون المريض هو المتسبب في إصابة نفسه به، وذلك إما بتناوله مدة طويلة من الزمن الأغذية المسببة والمولدة للحرارة، أي التي توصف في نفسها بأنها أغذية حارة، ويقال عنها إنها مسخنة وهذا سوف نشرحه فيما يلي، وفي المقابل قلة تناوله للأغذية المبردة، وكذلك من جهة الأفعال، بفعله أفعالاً مقوية لطبع الحرارة فيه.

ولغلبة كل خلط من الأخلاط الأربعة علامات ذكرها الأطباء، فلا نطيل بذكرها هنا، فيعرفون من هذه العلامات الخلط الغالب عليه، فهذا في حال صحته وعدم حصول الأمراض المعينة له، وأما عند مرضه فإنهم يعرفون من نوع المرض ما هو الخلط الغالب على الجسم، إذ تقرّر عندهم بالتجربة والخبرة مسببات كل مرض من الأخلاط المذكورة، ولذلك صاروا ينسبون كل مرض إلى مسببه من الأخلاط، فيقولون هذا مرض دموي، وهذا مرض صفراوي أو بلغمي أو سوداوي.

فيعملون عندها على ردّ الجسم إلى الاعتدال، وذلك من جهتين:

أولاهما: استفراغ ذلك الخلط، إما بالقيء أو الإسهال، أو إسالة المخاط والبلغم بالعطاس، فلكل خلط أدوية مسهلة تخرج قوته من البدن، أو أدوية يستعط

بها من طريق الأنف، فتؤدي إلى إفراغ ما في الدماغ من المادة الموجودة فيه، ويحصل الاستفراغ أيضًا بالحجامة، وبالفصد، وبالتعرق.

وثانيتها: أمر المريض بتناول الأغذية المولدة للأخلاط المضادة، ومعالجته كذلك بالأدوية التي تضاد الخلط الغالب، وتعمل على رد البدن إلى حالة الاعتدال. ولذلك احتاجوا إلى معرفة طبيعة كل غذاء وكل دواء، أي هل هو حار أم بارد، رطب أم يابس، وفي أي درجة هو من درجات هذه الطبيعة، هل هي الدرجة الشديدة القوية، أم الخفيفة البسيطة، أم الوسط.

الفصل الثاني: في معنى طبائع الأدوية وقواها ومصدر معرفة ذلك

أما معرفة طبائع الأغذية، وكذلك الأدوية، أي القول عن الغذاء أو الدواء المعين إنّه حار أو بارد، أو رطب أو يابس، وهو ما يعبر عنه أيضًا بقوى الأدوية، فمصدرها عندهم، أحد ثلاثة أمور:

الأول منها: وهو الصحيح المقطوع بصحته، وهو إخبارات الأنبياء، ودليل ذلك ما رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ ﴾ من حديث إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «كان سليمان نبي الله -عليه السلام- إذا صَلَّى رأى شجرة نابتة بين يديه، فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: كذا، فيقول: لأي شيء أنت؟ فإن كانت لغرس غُرست، وإن كانت لداء كُتبت، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، ..» الحديث.

هذا، مع ما في كتب الطب، وكذلك كتب تراجم الأطباء من قول الأطباء أنفسهم بأن أطباء اليونان الذين نُقل عنهم غالب أصول الطب القديم، كان بعضهم أنبياء، أو أتباع وأصحاب بعض الأنبياء.

وعلى رأس أولئك: الطبيب الأول المسمى «اسقليبيوس»، ومن جاء من بعده من أمثال هرمس وأفلاطون وسقراط، وأبقراط، وديسقوريدس، وجالينوس الذي هو أبو الأطباء وإمام أهل هذه الصناعة الأكبر، والمُصنّف فيها المئات من الكتب التي صارت هي مصدر هذا العلم إلى زماننا هذا، ولا تزال تراجمها موجودة متداولة، ففي كثير من كتب الطب ومصادره القديمة أن هؤلاء كانوا أو كان بعضهم أنبياء، وبعضهم تلاميذ الأنبياء أو تلاميذ تلاميذهم.

ومن أشهر الأنبياء المنسوب إليهم العلم بالطب النبي إدريس عليه السلام المسمى عندهم «أخنوخ» بل قال بعضهم بأنه هو «اسقليبيوس» الذي رفعه الله مكاناً علياً.

ومن تأمل الحديث النبوي المذكور على ضعف إسناده، وتأمل الشيء الكثير المروي عن النبي ﷺ فيما يتعلق بقواعد حفظ الصحة البدنية، وما يتعلق بالغذاء والدواء، مثل إخباره ﷺ بوجود الطبائع في الأغذية والأدوية، الصريح في حديث أبي داود عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان يأكل البطيخ بالرطب، فيقول: نكسر حرّ هذا ببرّد هذا، وبرّد هذا بحرّ هذا»، وفي حديث الترمذي عن أسماء بنت عميس، أن النبي ﷺ قال لها: «بماذا كنت تستمشين؟ قالت: بالشُّبْرُم، قال: حارٌّ، حارٌّ، قالت: ثم استمشيتُ بالسنا، فقال ﷺ: لو شيء يشفي من الموت، كان السنا».

وهو حديث مشهور، وعبارة «حار حار» تكرار الكلمتين مثل قولك: حسن حسن، وفي بعض النسخ وردت الكلمة الثانية بالياء: «حارّ يارٌّ»، وفي بعضها الكلمة الثانية بالجيم: «حارّ جارٌّ»، والاستمشاء كناية عن تناول الدواء المسهل، لأنه يوجب كثرة المشي إلى الخلاء.

قلت: من تأمل الأحاديث الكثيرة أمثال هذه، والتي فيها هديه ﷺ في حفظ الصحة العامة، وفي الغذاء وفي العلاج من الأمراض، ووصفه الأدوية النافعة

العجيبة؛ أدرك أن الطب من علوم النبوة، فالجانب الغيبي فيه هو الأكبر، وهو الذي لا يُعَلَّمُ إلا بوحى من الله تعالى.

وقد تكلم ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة 668هـ، في الباب الأول من كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، الذي توجد نسخته الخطية بخط يده عندنا في المدينة المنورة في «الخزانة البساطية»، تكلم عن كيفية وجود صناعة الطب، وكيفية حدوثها، وسرّد آراء الأطباء والمؤرخين في كيفية وجود هذه الصناعة وأول حدوثها، فقال: «والذين قالوا إن الله تعالى خلق صناعة الطب، احتجوا في ذلك بأنه لا يمكن في هذا العلم الجليل أن يستخرجه عقل إنسان، وهذا الرأي هو رأي جالينوس، وهذا نص ما ذكره في تفسيره لكتاب الإيمان لأبقراط، قال: «وأما نحن، فالأصوب عندنا والأولى أن نقول إن الله تبارك وتعالى خلق صناعة الطب، وألهمها الناس، وذلك أنه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل أن يدركه عقل الإنسان، لكن الله تبارك وتعالى هو الخالق الذي هو بالحقيقة فقط يمكنه خلقه، وذلك أنا لا نجد الطب أحسن من الفلسفة التي يرون أن استخراجها كان من عند الله تبارك وتعالى» انتهى كلام جالينوس .

ثم ذكر ابن أبي أصيبعة أن قومًا من اليهود قالوا: إن الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام «سِفْرَ الْأَشْفِيَةِ»، وأن الصابئة يقولون: إن الشفاء كان يؤخذ من هياكلهم، على يد كهانهم وصلحائهم، بعضٌ بالرؤيا، وبعضٌ بالإلهام، ومنهم من قال: إنه كان يوجد مكتوبًا في الهياكل لا يعلم من كتبه، وَنَقَلَ عنهم قولهم: أن شيث أظهر الطب، وأنه ورثه عن آدم عليهما السلام، فأما المجوس فإنهم يقولون: إن زرادشت الذي يدّعون أنه نبيهم، جاء بكتب أربعة، زعموا أن ألفًا منها طبٌّ.

هذا، وقد أفاض ابن أبي أصيبعة في تراجم هؤلاء الأطباء، ونقل الكثير من سيرهم ومناقبهم الماتعة، مع ترجمة الكثير من كلامهم ووصاياهم، وكل ذلك يدل على أنهم كانوا من أهل الإيمان بالله.

والمصدر الثاني: هو الإلهام، الشبيه بالوحي، والذي يحصل للأولياء، ويحصل أيضًا للصالحين من الأطباء، وقد حكى جالينوس عن نفسه الكثير مما كان يراه في النوم من الدلالة على العلاج، وحكى ذلك غيره من الأطباء ممن كان يحصل لهم تلقي كفايات العلاج في مرآتي منامية، أو إلهامات في اليقظة.

وأما المصدر الثالث: فهو ما وقع للأطباء بالتجربة والاتفاق والمشاهدة، فاجتمع لهم مما تلقوه عن الأطباء السابقين سواء من الأنبياء أو أتباعهم، أو من الأولياء والصلحاء المهتمين، ومما ظهر لهم بالتجربة والمشاهدة، اجتمع لهم من ذلك كله قواعد كثيرة، وقوانين كلية، صارت تكبر مع الزمن وتزداد إحكامًا، ويفتح الله تعالى على بعضهم بأمور جديدة لم يسبق إليها، سواء في التشريح، أو الجراحة، أو كفايات العلاج، أو معرفة طبائع الأدوية والأغذية التي لم تكن تعرف من قبل، سواء المعدنية أو النباتية أو الحيوانية.

فجميع ما نراه مسطرًا في كتب الأطباء من طبائع الأدوية المفردة وقواها وخواصها مصدره أحد الأمور الثلاثة المذكورة، ولكن دون التنصيص على المصدر، فنجدهم ينقلون كلام أطباء اليونان في طبائع الأدوية من أمثال جالينوس وأبقراط وديسقوريدس وبولس، وينقلون كذلك كلام أطباء العرب الذين ورثوا علوم هؤلاء ومارسوها وبرعوا فيها، إلا أن الشواهد كلها تدل على ما ذكرناه في مصدر هذه المعرفة.

هذا، وقد اصطلح الأطباء والعشابون على تقسيم قوى الأدوية إلى أربع درجات.

فيقولون على سبيل المثال: «البابونج» حار في الدرجة الأولى، أو يقولون عنه: مُسَخِّنٌ في الدرجة الأولى.

وأعلى منه في التسخين والحرارة ما يقال عنه: إنه حار في الدرجة الثانية، أو مسخن في الدرجة الثانية، كالعسل والزعفران والعنبر.

وأعلى منه ما يقال عنه: مُسَخَّنٌ في الدرجة الثالثة، كالأنيسون (اليانسون بلغة العصر)، والدار صيني «القرفة»، والزنجبيل والقرنفل.
وأعلى منه ما يقال عنه: حار أو مُسَخَّنٌ في الدرجة الرابعة، كالفلفل، والخردل.

وهكذا الأمر في الأدوية المبرّدة، والمرطّبة، والمحقّفة، والمنضجة، والمحلّلة، والمسهلة، والقابضة، وغير ذلك من أنواع الأدوية.
ثم اصطلحوا كذلك على تقسيم كل درجة إلى ثلاث مراتب، أولى ووسطى وعليا.

وأنقل هنا نصّاً من نصوصهم الشارحة لذلك، أنقله مثلاً على كلامهم، وهو ما ذكره صلاح الدين الكحال الحموي المتوفى عام 696هـ في كتابه «نور العيون وجامع الفنون»، حيث قال في المقالة العاشرة منه:
«أما قوى الأدوية فمنها الحار، والبارد، والرطب، واليابس، ولكل واحد من هذه أربع درجات، وفي كل درجة ثلاث مراتب: أول وآخر ووسط.

فأما الدرجة الأولى، فهي ما غيّر البدن عن الاعتدال تغييراً غير محسوس، مثل أن يُسَخَّن أو يُبرّد، وأما الدرجة الثانية، فهي ما غيّر تغييراً بيناً، ليس بشديد، وأما الدرجة الثالثة، فهي ما غيّر تغييراً شديداً ليس بمفسد، وأما الدرجة الرابعة، فهي ما بلغ تغييره أن يُهلك ويُفسد، والحارّ يُفسد بالإحراق، والبارد بالإخدار» انتهى باختصار.

فهذا مثال على كلام الأطباء في التقسيم الذي ذكرته، والذي يحتاج كبقية فروع علم الطب إلى جمع كلامهم المتفرق فيه، أي جمع كلامهم في كل قضية في ملف وحده، فيفسر بعضه بعضاً، ونستعين في فهم كل نص بأمثاله من النصوص، إذ لغة الأطباء متفاوتة، منها الصعب الممتلئ بمصطلحاتهم، فلا يفهمه إلا المتخصّصون الممارسون لكتبتهم، ومنها السهل البسيط المفهوم لكل أحد.

فهذا الذي ذكره الكحال الحموي في تقسيم الأدوية من حيث قوتها، نجد الكثير أمثاله في كتب غيره من الأطباء. ومن أراد النظر في بعضها فعليه أن يرجع إلى كتاب « المستعيني » من تأليف يونس بن إسحاق، أو كتاب «الأدوية المفردة» لأبي الصلت الداني، أو كتاب «طب العرب» تأليف عبد الملك بن حبيب، أو «القانون» لابن سينا، وكلها مطبوعة، وكذلك الأمر في بقية عناوين العلوم الطبية.

الفصل الثالث: في ذكر أهمية العلاج بالأدوية المفردة، وكذلك الأدوية المركبة تركيبًا بسيطًا

من تأمل الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالطب النبوي، يرى أن غالب الأدوية التي يصفها النبي ﷺ هي أدوية مفردة، كالأحاديث الواردة في العلاج بالقسط الهندي، وتمر العجوة، والحليب، والعسل، والسنا، والحبّة السوداء، وإلية الشاة، وكحل الإثمد، والحناء. مع وجود بعض الأحاديث التي فيها ذكر دوائين اثنين، أي مجرد ذكره ﷺ لهما معًا، دون التصريح باستعمالهما معًا، مثل قوله ﷺ: «عليكم بالسنا والسنوت»، ومثل قوله ﷺ: «ماذا في الأمرين من الشفاء: الصبرُ والثَّقاء».

فمجرد ذكره ﷺ للدوائين معًا، قد يكون فيه الإشارة إلى استعمالهما معًا، وهذا الإقران مثله ما صحَّ من هديه ﷺ في إقرانه بين الغدائين ليغْدِلَ أحدهُما الآخر، وهو الصريح في حديث أكله ﷺ الرطب بالقثاء، والرطب بالبطيخ.

وكذلك وجود ما يصفه ﷺ من الدواء مركَّبًا من دوائين، مثل القسط مع الزيت، ومثل الورس مع الزيت، ومثل التداوي بالتبلينة، وهي عبارة عن حساء، مصنوع من عجين يوضع في الماء الحميم حتى يذوب وينضج ويصير لونه في لون اللبن، أو إنه يضاف إليه اللبن، فهذا كلّه يعدّ في علم الطب من نوع التركيب البسيط.

وكذلك وجود ما يصفه عليه السلام من الدواء مركبًا من ثلاثة أدوية، مثلما في حديث ابن ماجة عن زيد بن أرقم قال: «نعت لنا رسول الله عليه السلام من ذات الجنب: ورُسًا، وقسطًا، وزيتًا يلدّ به».

وما دام أن أدويته عليه السلام لم تجاوز هذه الدرجة البسيطة من التركيب، صرنا نقطع بتقدّم تأثير العلاج بالأدوية المفردة، وكذلك الأدوية المركبة تركيبًا بسيطًا، تقدّمها على تلك الأدوية المركبة تركيبًا معقدًا لا يستطيعه إلا حذاق الأطباء والعشابين في الكثير من الحالات، وصرنا نقطع بأفضلية التداوي بالأدوية المفردة والبسيطة.

ومن أقرب الأمثلة على ذلك الأدوية المسهلة، فالمذكور منها في كتب الأطباء يتركب بعضها من أكثر من عشرة أدوية، بينما أرشدنا النبي عليه السلام إلى الاستمشاء بالسنا، وحده.

وكنت قد قرأت كتابًا لبروفيسور روسي، ألفه في طرق تنظيف الكبد، وتخفيف مُستوى السُمِّيَّة فيه، وأثبت أن ذلك يعتمد اعتمادًا كليًا على درجة سُمِّيَّة الأمعاء، وأثبت أن السنا هو أعظم مطهّر للأمعاء من السموم، وبذلك يكون أقوى مطهّر للكبد، وأعظم مقوٍّ لوظائفه، ولكني لم أهتد إلى هذا الكتاب في مكتبي أثناء كتابتي هذا البحث لأنقل منها هذا النص الهام.

وإلى جانب ترجيحنا وتقديمنا العلاج بالدواء المفرد اقتداءً بنبينا عليه السلام، فإن الأطباء القدماء يقولون بترجح ذلك أيضًا طبق قواعد الفن، ويذكرون مع ذلك الأسباب الداعية لتركيب الأدوية.

ومن أقوالهم في ذلك ما جاء في كتاب «الطب من الكتاب والسنة»، المنسوب إلى موفق الدين البغدادى، وذلك في الباب الأول الذي عقده في شرح قوانين تركيب الأدوية، حيث قال:

«قال الأطباء: إنا لا نؤثر على الدواء المفرد مركباً إن وجدناه كافياً، لكفايته، ونضطر للتركيب إما لإصلاح كيفية الدواء المفرد، وكراهته حتى يطيّب، أو لتقوية قوته، كما يخلط الزنجبيل مع الثريد، أو لإضعاف قوته، كإخلاط الشمع مع المرهم الزنجار، أو لدفع ضرره، أو لحفظ قوة الدواء، أو لأن الدواء سريع النفوذ، فيخلط به ما يثبطه، أو لأنه بطيء النفوذ، فيخلط به ما يسرع نفوذه، أو لأن المرض مركّب، فيركب له الدواء، أو لشدة المرض وقوته، فلم يجدوا دواءً واحداً يقاومه، أو لإخلاف مزاج المريض، فلم يجدوا دواءً واحداً يفعل أفعالاً مضادة، فيركب له دواء، أو لبعده الألم عن المعدة، فلا يصل إليه الدواء إلا وقد ضعفت قوته، فيركب معه ما يوصله بسرعة، كالزعفران مع الكافور، أو الدار صيني مع النارج، أو لشرف العضو، فتخلط بدوائه المحلل ما يحفظ قوته عليه من الأدوية القابضة العطرة، أو لأن الدواء يوجد فيه مضرة لبعض الأعضاء فيخلط به ما يزيل ضرره، والله أعلم» انتهى كلام البغدادي.

الفصل الرابع

في ذكر أهم ما يستفاد من الكتب المصنفة في «الأدوية المفردة» من أهم الفوائد التي نحصل عليها من الكتب المؤلفة في «الأدوية المفردة» معرفة الكثير من العلاجات القائمة على التركيب البسيط، أي التي يكون الدواء فيها مركباً من دواءين اثنين أو ثلاثة فقط، ويكون تركيبه بالطرق البسيطة التي يستطيعها كل إنسان، فلا تحتاج إلى الطبيب الماهر الذي قد فرغ من دراسة الطرق المعقدة في تركيب الأدوية، وهذا الجانب المهم لم يغفل عنه الأطباء القدماء، فقد ألف بعضهم كتباً خاصة في معرفة التداوي بالأدوية المفردة، والتي يلحق بها التداوي بها مركبة مع دواء أو دواءين آخرين، ومثالها «الرسالة الألواحية» التي صنفها الرئيس ابن سينا، و كتاب «طب الفقراء والمساكين» لابن الجزار المتوفى عام 369 هجرية، وكذلك كتاب «الأدوية المفردة» الذي صنفه أمية بن أبي الصلت

الداني، وكتاب «الأدوية المفردة» الذي صنفه الحكيم أحمد بن عبد السلام الصقلي المتوفى سنة 820هـ، وهو معروف في خزائن المخطوطات بعنوان «مفردات الصقلي»، وقد طبع ووضعت له محققته الأستاذة منى عبّود عنواناً عصرياً، وهو «موسوعة الطب الشعبي».

ومن الأطباء والعشابين من ألف في ترتيب الأدوية المفردة المذكورة في كتاب معين من كتب من تقدّمه من الأطباء والعشابين، مثل الكتاب الذي صنفه محمد بن يحيى العزفي، وسماه «الاكتفاء في طلب الشفاء» وجمع فيه ما ذكره ابن البيطار في كتابه الكبير «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» وهو من النصوص التي نشرها الدكتور محمد العربي الخطابي المغربي رحمه الله.

فكتاب ابن البيطار مرتّب على ذكر أسماء الأدوية بحسب الحرف الأول من اسم كل دواء، فقام العزفي بجمع المعلومات المتفرقة في تراجم هذه الأدوية المتعلقة بكل مرض على حدة.

وأذكر هنا مثلاً على ما في هذا الكتاب، حيث نجد العزفي قد جمع ما تفرّق في كتاب ابن البيطار في علاج الصداع، فذكر فيه جميع الأدوية المفردة التي قال ابن البيطار عند كلامه عليها أنها تنفع الصداع، فنجد مثلاً يقول في أدوية علاج الصداع:

«شونيز (يقصد الحبة السوداء) إذا سحق بعد أن يُنقَع بالخل ليلةً، واستُعِطَ به، وقُدّم للمريض حتى يستنشقه، نفع من الأوجاع المزمنة في الرأس، ومن اللقوة، وهو من الأدوية المفتحة جُل السّد في المصفاة (يقصد المسالك البولية)».

ثم بعد ذكره بعض الأدوية الأخرى، نجده يقول:

«قسط، القسط الأبيض فيه منفعة عظيمة من الأوجاع العتيقة التي تكون في الرأس من الأبردة، ويطرد الرياح المخدّرة للدماغ، إذا استُعِطَ به بماء المطر، أو طُبِّخ في سمن المعز، أو سمن البقر» انتهى.

وهكذا يقول في جميع الأمراض.

قلت: وبالرغم من وجود هذه الكتب المصنفة في التداوي بالأدوية المفردة، والمرتبّة على أبواب أعضاء البدن، وأبواب الأمراض المتعلقة بكل عضو، فإنني أعرف من طول الممارسة أن في كل كتاب ما ليس في غيره مما ينفرد به كل منهم اعتمادًا على تجاربه الشخصية، فصرنا بحاجة إلى عمل موسوعي نجمع فيه كلامهم المتفرق في الجانبين: جانب وصف كل دواء من الأدوية المفردة، وذكر خواصه وطرق المعالجة به، وجانب وصف علاج كل مرض على حدة، مجموعًا من هذه الكتب المصنفة في ذلك، ومجموعًا كذلك من كتب الأدوية المفردة، حيث نجد فيها الكثير من المعلومات التي لم تذكر في الكتب المصنفة على ترتيب الأمراض.

مع عدم الغفلة عن جمع كلام الأطباء في قواعد التداوي بالأدوية المفردة، والأدوية المركبة تركيبًا بسيطًا، مثل القواعد التي ذكرها الطبيب اليهودي الأندلسي يونس بن إسحاق بن بُكلارش في كتابه «الأدوية المفردة» المسمى بـ «المستعيني» وهو في نظري من نفائس الكتب المؤلفة في هذا الباب، وكذلك القواعد التي صدر بها ابن سينا «الرسالة الألواحية»، وذكر فيها كيفية اختيار الدواء الذي يتعالج به في كل حالة، وغيرهما من الأطباء، وما ذكره الوليد بن رشد في كتاب «الأدوية» من كتابه «الكليات في الطب».

و هذا العمل الموسوعي الذي أقول بأننا بحاجة ماسة إليه؛ من المفترض أن يوكل القيام به إلى مجموعة من الباحثين المهتمين بالطب القديم، وخصوصًا من قام منهم بتحقيق وإخراج بعض مهمات كتب الطب، فصار عنده دربة وخبرة في فهم كلام الأطباء ومصطلحاتهم.

وكما قدمنا، فإن جانب التداوي بالأدوية المفردة سوف يسهل الطريق على عامة الناس من أهل عصرنا في التداوي بالأعشاب والأدوية الطبيعية، حيث نرى أن سبب انصراف الغالب منهم عن النظر في كتب الطب القديم وتعلم العلاج منها،

إنما هو ما يجدونه فيها من الكلام الغريب الغير مفهوم، وما فيها من الأدوية المفردة الغريبة الأسماء والتي بعضها معدوم حتى مع فهم المقصود منه، حيث اعتاد الأطباء على تسمية العقاقير والأعشاب بأسمائها اليونانية الموجودة في كتب جالينوس وأبقراط وديسقوريدوس وأضرابهم من أئمة الطب القديم، وفيها معادن وأعشاب وأجزاء حيوانية نادرة الوجود.

وكذلك ما يجدونه فيها من التعقيد في صناعة الأدوية المركبة، والتي لم يكن يَعْرِفُ كيفية تركيبها في زمان الأطباء أصلاً سواهم، فلم يكن تركيبها وصناعتها في متناول العامة في زمانهم، كتلك الأدوية المركبة التي نراها في كتاب «القانون» لابن سينا، وكتب «الحاوي» و«المنصوري» و«الطب الملوكي» للرازي، وكتاب «زاد المسافرين والحاضر» لابن الجزار، وكتاب «تذكرة أولي الألباب» لداود الأنطاكي، و«منهاج الدكان» لابن أبي نصر الهاروني.

إن إحياء الجانب السهل سوف يزيل تلك العقدة في استعمال الطب القديم، والتي تسبب فيها الأمران المذكوران، ولذلك صرنا نقول بأن جمع المعلومات المتفرقة في هذا الجانب في عمل موسوعي شامل، يعد بعد خدمة جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بطب سيد الخلق ﷺ من أهم ما يجب أن يسارع إليه المسلمون اليوم، وخصوصاً الباحثون المتخصصون منهم في العلوم الغذائية والعلوم الطبية والعلاجية، ليفيدوا من كنوز وذخائر الطب القديم في علاج الأمراض، مثلما يفيدون من كنوز وذخائر الطب النبوي، فيقل التجاؤهم للتداوي بالأدوية الكيميائية، التي تداوي جانباً، وتفسد الكثير من الجوانب الأخرى، بل تنبت أمراضاً أشد من المرض المراد علاجه بها.

ولا بأس أن أنقل هنا مقدمة الرئيس ابن سينا لرسائله التي صنفها في التداوي بالأدوية المفردة، والتي رتبها على أبواب أعضاء البدن، والأمراض المتعلقة بكل عضو، وقد سعى كل باب باللوحة، لذلك سعى رسالته هذه بـ«الرسالة

الألواحية»، فقد ذكر في مقدمتها قوانين التداوي بالأدوية المفردة، فأنا أنقلها هنا بتمامها، وذلك لما رأيته من ندرة وجود الطبعة الوحيدة القديمة لهذه الرسالة، فلم تعد متوفرة في المكتبات، فلا يصل إلها من يريد الاطلاع عليها بسهولة، وأنقلها كذلك لمن لم يسبق له المطالعة في كتب الطب القديم، فتكون مثالا له وأنموذجا على ما تحويه كتب الطب من المباحث.

أنقلها في هذا الفصل الآتي المخصص لنقلها، وهو:

الفصل الخامس

في نقل كلام ابن سينا في قوانين العلاج بالأدوية المفردة التي ذكرها في مقدمة «الرسالة الألواحية».

قال ابن سينا:

«الحمد لله والصلاة على نبيه ﷺ، رسالة فيضية، هذه رسالة في ترتيب الأدوية المفردة ألواحًا، بحسب قواها وأفعالها ومنافعها المتعلقة بالأعضاء والأمراض والأخلاق، كل لوح منها يتضمن أدوية كثيرة مختلفة الذات، متشابهة القوى في الأفعال، ليكون للطبيب العارف تذكرة متى حاول مرضًا من الأمراض وجد جميع الأدوية النافعة منه مسطورة في اللوح الخاص به، حاضرة لناظره، ممثلة بين يدي خاطره، يتصرف منها، ويستخلص عنها ما يكون بمقصده لائقًا، ولغرضه موافقًا، إما لأكثر منفعة أو لأقوى فعلاً، والذي تصحبه منفعة أخرى، أو بالأحرى مضرّة، فأما المبتاع أو المؤلف المعهود، أو السهل الوجود، أو غير ذلك من الأشياء المطلوبة، والأغراض المقصودة. فيكون -مثلاً- إذا أراد أن يقضي على خلط صفراوي، تطلب لوح الأدوية المسهلة للصفراء، فيجد في جملتها التمر الهندي، فينظر فيه فيجده مخشّنًا للصدر، ضارًا بالسعال، لا يصلح لغرضه، فيعدل عنه إلى الترنجبين، فيجده أيضًا ضعيفًا، وفعله لا يبلغ قدر حاجة إلى استفراغ الخلط، فيعدل إلى

الهليلج الأصفر، فيجد أنه لا يجوز استعماله قبل النضج (يقصد قبل نضج العلة في البدن ووصولها إلى مستواها الأعلى)، لما فيه من التخشن للأحشاء، فيعدل عنه إلى الصبر، فيجده مضرًا بالحبالي، فيعدل إلى شراب الورد، فلا يكون حاضرًا، فيعدل عنه إلى الخيارشنبر، فيجده موافقًا لغرضه، فيستعمله.

وعلى هذا القياس يجري نظيره في جميع الأدوية المستعملة في معالجة الأمراض، وأيضًا فمتى أراد تركيب دواء من الأدوية، فينظر إلى الغرض المطلوب، والمعنى المقصود، ويلتمس لوجه، فيجد فيه أدوية كثيرة، منها حارة، ومنها باردة، ومنها رطبة، ومنها يابسة، ومنها معتدلة، ومنها قوية، ومنها ضعيفة الفعل، ومنها مُرَّة بشعة، ومنها سهلة الوجود، ومنها عزيزة الوجود، فيتعين اختياره بما يكون صالحًا لقصده، موافقًا لغرضه من جميع الجهات، فيجده فيكون موافقًا.

مثلاً، إذا أراد تركيب دواء مُفَرِّح، فيطلب اللوح الثامن والأربعين، وهو لوح الأدوية المفرحة، فيجد فيه أدوية كثيرة مختلفة القوى والأفعال، فيقصد منها الباردة، إن كانت مراده، فيصادف فيها الصندل، والطباشير، والورد، والأملج، والكافور، واللؤلؤ، والبد، والكهرباء، وغيرها، فيجد منها ما يشاكل غرضه، ويوافق مقصوده، وكذلك يفعل في غيرها.

وأيضًا متى وجد أن دواءً من الأدوية عزيزًا، أو كان متعذرًا، واحتاج إلى دواء يقوم مقامه، ويكون بدلًا منه، فينظر إلى القوة التي كان يتبعها في ذلك الدواء، إلى الفعل المقصود منه، فيلتمس اللوح الخاص فيجد فيه أدوية كثيرة شبيهة في ذلك الفعل، ومشكلة في المعنى، فيخلق منها ما يُنتج له الأشبه والأقرب إلى فعله، فإن كان مثلاً أراد العقيق للقلب، وكان متعذرًا، فينظر في لوجه، فيجد فيه المرجان، وهو مقارب له في ذلك الفعل، فيجده بدلًا منه، عوضًا عنه، وكذلك إن كان غرضه منه قطع نفث الدم، فيطلب لوجه فيصادف فيه الكهرباء، وهو مشاكل له فيجده عوضًا عنه، وكذلك إن كان غرضه أن يجلو بياض العين، فيطلب لوجه، فيجد فيه

التداوي بالبورق، وكان متعذراً وجوده، فيستعين فيه بالعقيق، وهو مشابه له، فيجده بدلاً له، وعلى هذا الوجه يصلح إبدال الأدوية على الحقيقة» .

انتهى كلام ابن سينا.

قلت: فمن نظر في مقدمته هذه، ظن أن ابن سينا سوف يذكر مع أسماء الأدوية المتعلقة بكل مرض طبيعة كل دواء منها، من حرارة وبرودة، ورطوبة ويبوسة، وفي أي درجة من درجات كل طبيعة هو، وبماذا يضر عند استعماله، ولكننا نجد الرسالة خالية من ذلك كله، والسبب هو كونها مصنفة للأطباء الذين يعرفون ذلك، أو يمكنهم معرفة ذلك بالرجوع إلى المصادر التي اعتادوا الرجوع إليها.

فيبقى سلوك طريق اختيار الدواء المناسب للمريض المعين من بين جملة الأدوية المذكورة في كل باب خاصاً بالأطباء المتخصصين، العارفين بما هو مذكور في كتب الأدوية المفردة من طبيعة كل دواء، والمحاذير المتعلقة باستعماله.

ولذلك فإن العمل الموسوعي الشامل الذي أدعوا إلى القيام به من خلال رسالتي هذه، سوف يكون مسهلاً وميسراً أمر الاستفادة من الطب القديم، وجعله خادماً في إظهار كنوز وذخائر الطب النبوي.

هذا، مع العلم بأن هناك أعمالاً موسوعية قام بها بعض الأطباء المتقدمون، مثل العمل الكبير الذي قام به في جانب التداوي بالأدوية المفردة العلامة ابن النفيس في كتابه «الشامل في الصناعة الطبية»، حيث جمع فيه مادة واسعة فيما يخص كل دواء من الأدوية المفردة، جمعها من مصنفات الأطباء السابقين له، وزاد عليها الكثير مما حصله وعرفه بتجاربه وخبرته، سواء في معرفة الأدوية، أو التداوي بها. ولكن بالرغم من وجود هذا العمل الموسوعي المتقدم، لواحد من أساطين الطب البارعين فيه، فإن النظر المستفيض في كتابه هذا وفي غيره من مصنفات الأطباء والعشابين، يُظهر جلياً أن كتابه هذا يظل في اعتبارنا كتاباً من جملة بقية الكتب، لأنه يحوي اختياراته وانتقائه، ولا يحوي ما كتبه من جاء بعده من الأطباء، مما

ظهر لهم بتجاربههم ونتاج خبرتهم؛ فنجد في كتب من جاء بعده من أمثال «السويدي» و«القليوبي» و«ابن الأزرق»، و«داود الأنطاكي» الكثير من الأمور التي لانجدها في كتابه، والتي عرفوها من المصادر التي لم يطالع عليها ابن النفيس، أو عرفوها من تجاربهم وممارساتهم.

وسوف أنقل فيما يلي ما كتبه جماعة من الأطباء وكذلك العشّابين، الذين عاشوا في أزمنة وأمكنة متفرقة، أنقل ما ذكره في مصنفاتهم مما يتعلّق بالعقاقير الثلاثة التي اخترتها، وهي: اللبان، والصمغ العربي، والقسط الهندي، فيكون ذلك أنموذجاً لما تحويه كتب المفردات الطبية من المعلومات، ونموذجاً لجمع المعلومات المتعلقة بعقار واحد من العقاقير في ملف واحد، مثلما أننا سوف نجمع كلام الأطباء المتعلّق بالمرض والعلّة المعيّنة الواحدة في ملف واحد في العمل الموسوعي الذي أدعو إلى القيام به تمهيداً لوضع أسس علمية تطبيقية مخبرية في دراسة الطبين: الطب النبوي والطب القديم.

وسأعقد لكل عقار من العقاقير الثلاثة المذكورة باباً مستقلاً، ثم أختتم ببعض التجارب الشخصية التي قمت بها في مجال التداوي بطب النبي ﷺ وكذلك الطب القديم.

الباب الثاني: في «الكندر» الذي هو «اللبان» وما ذكر من خواصه وآثاره في كتب الطب

أما من جهة الحديث النبوي، فقد ورد فيه جملة من الأحاديث التي لا تثبت، ولكن ورد فيه آثار عن الصحابة، وكلها ضعيفة الإسناد، منها ما رواه الحافظ المستغفري في كتابه «طب النبي ﷺ»، بإسناده إلى عبد الله بن محمد النخعي أن رجلاً شكّا إلى علي رضي الله عنه النسيان، فقال: «عليك باللبان، فإنه يشجّع القلب ويذهب بالنسيان».

وما رواه بإسناده إلى راشد بن أبي راشد، قال: كان أنس رضي الله عنه يشرب اللبن بالعسل، واللبن بالسُّكَّر.

وما رواه بإسناده إلى عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خذ مثقالاً من كُنْدَر، ومثقالاً من سَكَّر، فدقّهما، واقتحمهما على الريق، فإنه جيّد للنسيان والبول».

وهذا مثله ما رواه البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» في ترجمة عثمان بن الساج (رقم: 2242) عن ابن عباس في دواء الحفظ، فذكر الكندر.

ومن النصوص النادرة المنقولة عن الحارث بن كَلْدَة الثَّقَفي، الذي شهد له النبي ﷺ بمعرفة الطب، ما رواه عبد الملك بن حبيب السلي، تلميذ تلاميذ الإمام مالك، المتوفى سنة 233هـ في كتابه «طب العرب»، الذي نشر قطعة منه الدكتور محمد العربي الخطابي رحمه الله، ضمن كتابه «الطب والأطباء في الأندلس»، حيث قال:

«وكان الحارث بن كَلْدَة يأمر الذي به الصداع والحرارة أن يستعطّ بحضض بالماء لا يخالط بغيره، وربّما أمر بالصمغ العربي مع شيء من الكندر، قال عبد الملك: والكُنْدَر هو اللبن، والحضض: كحل خولان» انتهى.

وسأنقل في خاتمة البحث ما نقله عبد الملك عن النبي ﷺ في علاج الصداع بالقسط الهندي، وبالحبة السوداء.

وقال عبد الملك في كتابه هذا أيضاً: «أكل اللبن يُذهِبُ البَلْغَمَ، وكل ما أذهب البلغم فهو يذهب النسيان ويورث الحفظ».

وقال فيه أيضاً: «الكُنْدَر أي اللبن، كان النبي ﷺ يأمر بالتداوي به، واتخاذه بخوراً، فإنه يشد القلب، ويقطع البلغم، ويورث الحفظ، ويزيد في العقل، ويذهب النسيان، ويُخَرّ به وبالجرمل والشيخ والمُرّ والصعتر».

قلت: ولم يورد لهذا إسناداً، فلعله مما بلغه.

واللبان معروف عند العرب مجرَّب في تقوية الحفظ وتصفية الذهن، وهناك نصوص كثيرة دالة على كثرة شرب العلماء له من أجل تقوية الذاكرة والحفظ، ومن أمثلتها ما في «طبقات الحفاظ» للذهبي (1/362) في ترجمة الإمام الشافعي، حيث قال عنه:

«وكان مع فرط ذكائه وسيلان ذهنه يستعمل اللبان ليقوي حفظه فأعقبه رمي الدم سنة». انتهى

وهذا مروي في الأصل من قول الشافعي نفسه، في كتاب «مناقب الشافعي» للبيهقي، بإسناده إليه أنه قال:

«أخذت اللبان سنة للحفظ فأعقبني صبب الدم سنة» انتهى.

وزدت هنا كلمة «للحفظ» حيث وجدتها مزیدة في رواية الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق».

وقال القاضي عياض في كتابه «المدارك» في ترجمة ابن حبيب:

«كان لابن حبيب قارورة قد أذاب فيها اللبان في العسل يشرب منها كل غداة على الريق للحفظ». انتهى

وأما دخول «اللبان» أو «الكندر» في تركيب بعض الأدوية المجربة في علاج بعض الأمراض، فقد روي منه شيء يسير عن بعض أئمة العلم.

ومثاله ما روي عن الإمام يحيى بن معين في كتابه «معرفة الرجال» وهو قوله:

«صفة للسعال، تأخذ ما شئت من عروق السوس، فتنظفه وتقشر قشره الأسود، ثم تدق العروق دقاً ناعماً شديداً، وتنخله بجريدة، ثم تأخذ لكل حفنة من العروق خمس حصيات من كندر، فتدقه وتنخله وتخلطه بالعروق، وتلتّه بدهن بنفسج، وتعجنه بعسل منزوع الرغوة، فإذا احتجت إليه فتجعل منه مثل الزبيبة الضخمة، ثم تضعه تحت لسانك عند النوم، وابتلع ما يذوب منه، تصنع ذلك في

ليالي، فإنه يسكن بإذن الله» وقال أيضاً: «صفة للسعال العتيق، تأخذ جزءاً من كندر، وجزءاً من لوز، يدق اللوز ويخرج دهنه، فيخلط مع الكندر، بعسل منزوع الرغوة، يأكل منه كل يوم لعقات، وعند منامه مثل ذلك، مجرب» انتهى.

وأما ما ذكره الأطباء عن «الكندر»، ففيما يلي أمثلة على ذلك، دون اعتناء بترتيب إيراد نصوص كلامهم حسب تواريخ وفياتهم.

1/الرئيس ابن سينا «ت428هـ» في كتاب «القانون»

يتميّز ابن سينا في كلامه على الأدوية في كتابه «القانون» بترتيبه الخواص الطبية لكل دواء في عناوين، يبدأها بعنوان «الماهية»، فيصف ماهية الدواء، أي معرفة صفته حتى لا يلتبس بغيره مما يمكن أن يشاركه في الاسم، وحتى يعرف الصحيح منه من المغشوش، ثم يتكلم تحت عنوان «الاختيار» عن طريقة معرفة الأجود منه، ثم يتكلم تحت عنوان «الطبع» عن حرارته وبرودته، ورطوبته وييبسه، أي على تأثيره من هذه الجهة على البدن، ثم يتكلم تحت عنوان «الخواص» عن تأثيره على البدن بشكل أدق، ثم يبدأ بذكر استعمالاته على ترتيب الأعضاء، وترتيب الأمراض، بادئاً بتأثيره فيما يتعلق بالزينة، ثم الأورام والبثور، ثم الجروح والقروح، ثم أعضاء الرأس، ثم أعضاء العين، وهكذا إلى أن يختم بذكر تأثيره في الحمّيات، ثم ما يتعلق بالسموم، وهو يقصد فيه الجانبين: جانب مقاومة الدواء للسم، ونفعه في ذلك، وجانب ما في الدواء نفسه من المخاطر السمية، عند استعماله بطريقة معينة أو مع دواء آخر معين.

وفيما يلي كلامه في «الكندر»، ولكن مع اختصار لكلامه الطويل في ماهيته، وكلامه فيما يختار منه، وسأضع رقمًا لكل خاصية أو منفعة، ليسهل الرجوع إليها عند جمع كلامه مع كلام غيره، أو مقارنته به، وكذلك الشأن في جميع النقول عن غيره من الأطباء، فأنا أختصر ما لا يلزمنا من كلامهم، وكذلك أختصر بعض ما يذكرونه من التداوي بالمحرمات كالخمر وشحم الخنزير، وهي مواضع معدودة، وهم

ينقلونها عن القدماء الذين لم يكن ذلك عندهم محرماً، فهذا كله أختصره، وأضع أرقاماً لما أثبتته من الخواص.

فبعد كلامه عن ماهية الكندر، وكلامه عما يجب اختياره من أنواعه المختلفة، قال ابن سينا:

«الطبع: قشاره مجفف في الثانية، وهو أبرد يسيراً من الكندر، والكندر حار في الثانية، مجفف في الأولى، وقشره مجفف في حدود الثالثة.

الخواص: ليس له تجفيف قوي، ولا قبض إلا ضعيف، والتجفيف لقشاره، وفيه إنضاج، وليس في قشره، ولا جِدَّة في قشاره، ولا لذع للحم، 1. حابس للدم، 2. والاستكثار منه يحرق الدم، 3. دخانه أشد تجفيفاً وقبضاً.

الزينة: 4. يجعل مع العسل على الداحس فيذهب، 5. وقشوره جيدة لآثار القروح، 6. وتنفع مع الخل والزيت لطوْحاً من الوجع المسمى «مركبا»، وهو وجع يعرض في البدن كالثآليل مع شيء كدبيب النمل.

الأورام والبثور: 7. مع قيموليا ودهن الورد، على الأورام الحارة في الثدي، 8. ويدخل في الضمادات المحللة لأورام الأحشاء.

الجراح والقروح: 9. مدمل جداً، وخصوصاً للجراحات الطرية، 10. ويمنع الخبيثة من الانتشار، 11. وعلى القوابي بشحم البط، 12. وعلى القروح الحرفية، 13. وعلى شقاق البرد، 14. ويصلح القروح الكائنة من الحرق.

أعضاء الرأس: 15. ينفع الدهن، ويقوّيه، ومن الناس من يأمر بإدمان شرب نقيعه على الريق، والاستكثار منه مصدع، 16. ويُغسل به الرأس، وربما خلط بالنطرون، فينقى الحزاز، ويجفّف قروحه، 17. ويقطر في الأذن الوجعة بالشراب، (يقصد الخمر)، 18. وإذا خلط بزفت أو زيت، أو بلبن، نفع من شدة محارة الأذن

طلّاء، 19. ويقطع نرف الدم الرعافى الحجابى؁ 20. وهو من الأدوية النافعة فى رضى الأذن.

أعضاء العين: 21. يءمل قروح العين وىملؤها؁ 22. وىنضج الورم المزمى فىها؁ 23. وءخانہ ىنفع من الورم الحار؁ 24. ويقطع سىلان رطوبات العين؁ 25. وىءمل القروح الرءىئة؁ 26. وىنقى القرنية فى المءة التى تحت القرنية؁ (يقصد بالمءة القىح أو الغباش) 27. وهو من كبار الأدوية للظفرة الأحمر المزمى؁ 28. وىنفع من السرطان فى العين.

أعضاء النفس والصدرف: 29. إذا خلط بقمولىا وءهن الورء؁ نفع من الأورام الحارة التى تعرض فى ثءى النفساء؁ 30. وىءل فى أءوة قصبة الرئة. أعضاء الغذاء: 31. ىحبس القىء؁ 32. وقشاره قىوى المعدة وىشءها؁ وهو أشء تسخىناً للمعدة؁ وأنفع فى الهضم؁ 33. والقشار أجمع للمعدة المسترخىة. أعضاء النفس: 34. ىحبس الخلفة والءرب؁ (الخلفة هى فساد الطعام فى المعدة؁ وىحصل منه المغص والإسهال؁ والءرب الإسهال) 35. ونرف الدم من الرحم والمقعدة؁ 36. وىنفع من ءوسنطارىا؁ 37. وىمنع انتشار القروح الخبىئة فى المقعدة؁ إذا اءخذت منه فءىلة.

الحمىات: 38. ىنفع من الحمىات البلىمىة.

السوموم: 39. إن أكثر شربه مع الخمر قتل؁ وكذلك مع الخل «انتهى كلام ابن سىنا باءصار .

قلت: وقد ذكر فى مواضع مءفرقة من كتاب «القانون» علاجات ىعءمء فىها على الكندر؁ ومثالها قوله فى علاج مرض الظفرة؁ وهو من أمراض العين:

«وقء ىنفع فى الظفرة الخفىفة والغلىظة؁ أن ىسحق الكندر؁ وىنقع فى ماء حار؁ حتى يأتى علیه ساعة؁ وىصفى وىكءل له. وقد جربت أنا من كان به ظفرة غلىظة حمراء مءقءمة؁ سحق الكندر القءىم؁ سحقاً ناعماً؁ وصبب الماء الحار فى

الغاية على رأسه في الهاون، ثم خلطته بدستج الهاون معًا، خلطًا بالغًا، حتى صار لون ذلك إلى الاخضرار، واستعملته، فوجدته نافعًا في الغاية».

وقوله أيضًا في علاج مرض العين المسمى بـ «الطرفة»:

«فصل في الطرفة، فنقول هي نقطة من دم طريٍّ أحمر، أو عتيق مائت أكهب أسود، قد سال عن بعض العروق المنفجرة في العين بضربة مثلاً، أو لسبب آخر مفجّر للعروق، من امتلاء أو ورم، حتى يعتق فيه، وربما كان عن غليان الدم في العروق، وربما حدث عن الطرفة الضربية خرقٌ لطيف في الحدقة، والذي في الملتحمة من الخرق أسلم. المعالجات: ... وقد يعالج بلبن امرأة مع كندر، والماء المالح وخصوصًا المدوف فيه ملح أندراني، أو نوشادر، وخصوصًا إذا جعل فيه مع ذلك الكندر، وقطر على العين منه ..» انتهى.

2/ أبو بكر الرازي «ت 313هـ» في كتاب «الحاوي»

قال: «قال ديسقوريدس: إنه 1. يقبض، 2. ويسخن، 3. ويجلو ظلمة البصر، 4. ويملاً القروح العميقة، ويدملها، 5. ويلزق الجراحات الطرية، 6. ويقطع نزف الدم من أي موضع كان، 7. والنزف الذي من حجب الدماغ، ويسكنه، 8. ويملاً القروح الخبيثة التي في المقعدة وفي سائر الأعضاء من الانتشار إذا خلط باللبن، وعُملت منه فتيلة وجُعِلَتْ فيها، 9. ومتى خلط بالخل والزفت، ولطخ به الوجع الذي يسمى مرميقا، وهو وجع يعرض منه في الجسم شبيه بالثآليل، ومعها شبه دبيب النمل، في ابتداء هذا الوجع أبرأه، 10. ويقلع القوابي، 11. ومتى خلط بشحم البط، أبرأ القروح العارضة من حرق النار، 12. والشقاق العارض من البرد، 13. وإذا خلط بالنطرون، وغُسل به الرأس، أبرأ القروح الرطبة، 14. وإذا خلط بعسل أبرأ الداحس، 15. وإذا خلط بالزفت أبرأ شдох الأذن، 16. ومتى خلط بخمر حلوة، وقطر في الأذن، نفع من أوجاعها كلها، 17. ومتى خلط بطين قيموليا، ودهن الورد، ولطخ به نفع من الأورام الحارة العارضة للثدي في النفاس، 18. ويدخل في أدوية قصبة الرئة، 19.

والضمادات المحللة للأورام في الأحشاء، 20. ومتى شُرب نفع من نفث الدم، 21. وأما قشور الكندر فأقوى قبضاً من الكندر، ولذلك هو أوفق من الكندر لنفث الدم، 22. والنساء اللواتي تسيل منهن رطوبات مزمنة، 23. ويصلح لجلاء آثار القروح الكثيرة الوسخ التي في العين وعلاجها، 24. ومتى قَلِيَ كان جيداً للحكة في العين، 25. وأما دقاق الكندر (يقصد غبار الكندر الخفيف الملتصق به والذي يسقط تحت المنخل عند نخل الكندر) فقوته كقوة الكندر، غير أنه أضعف، 26. وأما دخان الكندر، فقوته مسكنة للأورام الحارة في العين، 27. ويقطع سيلان الرطوبات منها، 28. وينقي قروحها، 29. ويبني اللحم في قروح العين الكثيرة الوسخ، 30. ويسكن الورم العارض في العين، الذي يسمى السرطان.

وقال جالينوس: الكندر الأبيض لا قبض فيه البتة، وأما قشر الكندر، فقوته قابضة قبضاً بيئاً، فهو لذلك يجفف تجفيفاً شديداً، حتى أنه في منتهى الدرجة الثانية من درجات الأشياء المجففة، وهي أغلظ من الكندر، وليس فيه حدة ولا حرافة أصلاً.

ولما كانت هذه الكيفيات والقوى فيه موجودة، أكثر الأطباء استعمله 31. في مداواة نفث الدم، 32. ولمن كانت معدته رخوة، 33. ولمن به دوسنطاريا، وذرب (أي إسهال)، 34. وقرحة المعى، ولا يقتصرون على خلطه في الأضمة التي يداوى بها من خارج دون أن يلقوه أيضاً في الأدوية الواردة إلى داخل الجسم.

وأما دخان الكندر، فإنه أبيض وأسخن من الكندر، حتى أنه يعد في الثانية، وفيه مع هذا شيء من الجلاء، ولذلك يقال: 35. إنه ينقي ويملاً القروح التي تكون في العين كما يفعل دخان المر، ودخان الميعة.

وقال -أي جالينوس-: 36. دخان الكندر يستعمله الأطباء في أخلاط الأدوية التي تصلح للعين الوارمة، والتي فيها قرحة، فإن قروح العين تنقى بهذا الدخان، وتمتلئ لحمًا، 37. وقد يستعملونه أيضاً في الأكحال التي تحسن شعر الأشفار.

وقال بولس: الكندر حار في الثانية، يابس في الأولى، وفيه قبض، وأما قشور الكندر، فإنه بين القبض، وهو يابس في الثانية، وهو أغلظ أجزاء من الكندر، متى ضُمَّد به من خارج، أو أُخِذَ من داخل. وأما أغصانه فإنها حارة يابسة في الثالثة، مع شيء من القبض، ومعها شيء من التنقية، ولهذا السبب 38. ينقي ويلحم العفن في العين.

وقال حكيم بن حنين عن جالينوس أنه قال: إذا كُجِلَ به جرب العين التي فيها دم مجتمع، حلَّه ونفع منه.

وقال أبو جريح: الكندر حار في أول الثالثة، يابس في آخرها، 39. يحرق الدم، 40. والبلغم، 41. وينشف رطوبات الصدر، 42. ويقوي المعدة الضعيفة، 43. ويسخِّنها متى بردت، وقشار الكندر كذلك، 44. ومتى أُنقِعَ منه مثقال، وشُربَ في ماء كل يوم، نفع من البلغم، وزاد في الحفظ، وأذهب كثرة النسيان، غير أنه يحدث لشربه إذا أكثر منه صداع وبخار رديء، وإحراق الدم. وقال الفارسي: 45. الكندر يهضم الطعام، 46. ويطرد الرياح، 47. جيد للحصى.

وقال ابن ماسويه: 48. الكندر يأكل البلغم، 49. ويذهب بحديث النفس، 50. ويزيد في الذهن، ويذكى، 51. وينفع القلب». انتهى كلام الرازي.

3/ ابن الجزار القيرواني «ت369هـ» في كتابه «الاعتماد في الأدوية المفردة».

قال: «القول في الكندر، وهو اللبان، وهو صمغ شجرة يؤتى به من بلاد اليمن، وله قشور، ويستعمل هو وقشره، وهو حار يابس في الدرجة الثانية، وهو يقبض، 1. ويسحق فيجلو من ظلمة البصر، 2. ويلزق الجراحات الطرية بدمها، 3. ويقطع نزف الدم من أي موضع كان، 4. ويمنع القروح الخبيثة التي في المقعدة، وفي سائر الأعضاء من الانتشار، إذا خُلط باللبن وعُمِلت منه فتيلة وجعلت فيها، 5. ويحلل البلغم، 6.

ويذهب بحديث النفس، 7. ويزيد في الحفظ، 8. ومن مضغه مرارًا، وشرب منه، هان عليه ضرب السياط، 9. وإذا مُضِغَ مع صعتر فارسي، أو زبيب الجبل، جلب البلغم، ونفع من اعتقال اللسان، 10. وإن أُخِذَ وَودَع، سحقًا جميعًا، وخُلِطَا مع دقيق شعير، وعُجِنَ الجميع بخَلٍ ثقيف، وطُلِيَ به الثديان؛ فإنه يصغّرهما، 11. وإذا خُلِطَ بشحم البط، أبرأ القروح العارضة من حرق النار، 12. وأزال الشقاق العارض من البرد، 13. وإذا خُلِطَ بالعسل أبرأ الداحس، 14. وإذا خُلِطَ بالخمير الحلو، وقُطِرَ في الأذن، خلّصها من سائر أوجاعها». انتهى

4/ علي بن المجوسي «ت284هـ» في كتاب «كامل الصناعة الطبية»

قال: «اللبان، وهو الكندر، حار يابس، فيه قبض، 1. وإذا مُضِغَ جذب الرطوبة والبلغم من الرأس، 2. وإذا دُقَّ ودُرَّ على الجراحات الحمها، وقطع الدم عنها، 3. وإذا سُقِيَ أصحاب الزحير مع شيء من النانخواه نفعهم، 4. وإن خُلِطَ مع الزعفران، وتحمل به صاحب الزحير نفعه». انتهى.

5/ ابن النفيس «ت687هـ» في كتاب «الشامل في الأدوية المفردة»

وكتابه «الشامل» هذا يعد أوسع كتب المفردات الطبية على الإطلاق، وهو متوسع في شرح التركيب الداخلي لكل عشب أو عقار، فيظهر العوامل المؤثرة المسببة لخواصها الطبية، وعنده كذلك استدراقات وتعقبات لما يقوله غيره من العشابين والأطباء.

وعند كلامه عن الكندر، ذكّر ماهيته، وتركيبه، وكيفية معرفة الصحيح منه من المغشوش، ثم قال:

«لما كان جوهر هذا الدواء كثير الهوائية، وفيه مع ذلك نارية ومائية قليلة جدًا، فلا بدّ وأن يكون مزاجه حارًا، ولا بدّ وأن يكون يابسًا، وذلك لأجل قلة مائيته، وكثرة ناريته، ولا بدّ أن يكون مجفّفًا، وذلك لأنه مع يبوسته وقلة مائيته محلّل بقوة، وذلك لأجل ما فيه من الهوائية والنارية، ولا بدّ وأن يكون جاليًا، لأجل ما فيه من

الأرضية المَرَّة، فلذلك لابدّ وأن يكون منقياً. ولما كان مع ذلك شديد الحدة واللذع، فهو لا محالة شديد النفع من القروح، لأنه يجففها ويجلوها، وينقّهما، ومع ذلك لا يحدث فيها لذعاً، ولا بدّ وأن يكون نقّاداً، لأجل لطافة جوهره، مع أنه لا يخلو من نارية، بها يشتد نفوذه، فلذلك لا بدّ وأن تكون أفعاله قوية.

ولما كان لطيفاً، نقّاداً، محلّلاً، جلاءً، فهو لا محالة مفتّح، فلذلك هو يفتح السدد، وفيه قبض وتقوية وجمع لأجزاء الأعضاء، وذلك لأن طعمه يوجد فيه قبض خفيّ عن الحس، وفيه تغرية وإنضاج.

وقشره أشد منه تجفيفاً، وذلك لأجل تحلل كثير من مائيته، ومع ذلك فإن القشرة أقل حرارة منه، وذلك لأجل تحلل كثير من ناريتها، ولذلك ليس يوجد في طعم هذا القشر حدة ولا حرافة.

ودُخانُه أشدّ تجفيفاً وقبضاً منه، وذلك لأجل تحلل كثير من مائيته بالنارية المدخنة، ولذلك لا بدّ وأن يكون أشد حرارة منه أيضاً.

وإذا استكثر من الكندر، أحرق الدم، وأحاله إلى السوداء، وذلك لأجل إسخانه وإفناء مائيته، بما في هذا الدواء من التحليل والتجفيف.

ثم قال: «الفصل الثالث، في فعل الكندر في أعضاء الرأس»، «إن هذا الدواء لما كانت أرضيته شديدة القبول للاشتعال، لاجرم كان ما يتصعد من هذا الدواء إذا تسخّن في المعدة كثيراً، وذلك لأن أرضيته مع شدة لطافتها، وشدة قبولها بذاتها لهذا التصعد، هي أيضاً شديدة الممازجة للمائية التي في هذا الدواء كما بيّناه أولاً، وذلك لما وجد بعدها لزيادة قبول التصعد، فلذلك كان ما يتصعد من هذا الدواء إذا تسخّن في المعدة كثيراً جداً، فلذلك كان تأثيره في أعضاء الرأس شديداً، فلذلك إذا استكثر من هذا الدواء أحدث الصداع، وذلك لأن ما يتصعد منه إلى الرأس يكون حينئذ -مع كثرته- حاراً، محترقاً ملهباً، فلذلك يكون ما يحدثه حينئذ من الصداع شديداً.

ولما كانت أرضية هذا الدواء شديدة اللطافة، فلذلك ليس يحدث عنه كدورة في جوهر أرواح الدماغ، بل يكون هنا شبيهاً بجوهرها، ومع ذلك فإنه يلطفها بحرارته، ويصقها من الرطوبات والفضول، ويجفف فضول الدماغ، فلذلك كان تناول الكندر يُصلح الذهن ويقويه.

وإذا نُقِع الكندر كل يوم، وزن مثقال في ماء، وشُرب ذلك الماء على الريق، وفعل ذلك أياماً، خفف البلغم، وأذهبه، وقوى الذهن جداً، وأزال النسيان، وقوى الحفظ جداً، فإن أكثر منه أحرق رطوبات الدماغ، وأحدث جنوناً، خاصة فيمن كان دماغه ليس ببارد، وإذا أُزيد فيه جداً خاصة مع الشراب: قتل، وذلك لأجل إفراط إساءته المزاج.

وأما إذا شُرب الكُنْدُر باعتدال، فإنه مع تصحيحه للذهن، يُجِدُّ البصر، وذلك لأجل تلطيفه للروح البصري، ويقطع الرعاف الكائن من عروق حجب الدماغ، وسيله وهو رعاف رديء، وسبب ذلك ما فيه من الإزلاق والتغرية والتحفيف (كذا بالمهملة)، وإلحام الجراحات الطرية، على ما تعرفه بعد.

وإذا خُلط الكندر بالنطرون، وغُسل به الرأس، نفع ذلك جداً من القروح الرطبة التي تكون في الرأس، وذلك لأجل شدة تجفيفه مع شدة جلائه، وقوة تحليله. وإذا اكتحل بالكُنْدُر، حلَّ ما يكون محتبساً في العين من الدم، وذلك إذا كان عن طرفه ونحوها.

ومن شأن الكُنْدُر أنه يُدمل قروح العين، ويملوها، وينضج ما يكون في العين بسبب القروح من الأورام.

ودخان الكندر ينفع من السرطان الكائن في العين، وذلك لأجل تحليله مع تليينه، وخلّوه عن اللدغ المؤلم، وينفع جداً من سيلان رطوبات العين بتجفيفه، ويدمل ما يكون في العين من القروح الرديئة، وذلك لأجل تجفيفه وتنقيته، مع خلّوه

عن اللدغ الشديد، وينفع من الأورام الكائنة في العين، حتى الحارة منها، وذلك إذا أريد به التحليل.

وقد يُغسل به الرأس، فينفع من الإبرية، خاصة إذا كان معه نظرون، وإذا كان كذلك فإنه يجفف القروح الرطبة التي في الرأس، كما ذكرناه، وإذا قُطِر في الأذن مع الشراب، سَكَن أوجاعها.

وإذا خُلط الكندر باللبن أو بالزيت أو بالزفت، كان نافعا من شدخ محارة الأذن إذا طُلي ذلك المكان به، إذ هو من الأدوية النافعة من أمراض الأذن.

وإذا مُضِغ الكُنْدُر جَلَب من الدماغ رطوبات كثيرة وبلغما، وذلك لأنه بحرارته يذيب البلغم والرطوبات الغليظة والجامدة، ويحدرها.

وإذا مُضِغ الكندر مع الصعتر الفارسي، أو مع زبيب الجبل، كان نفعه في ذلك أزيد، وكان مخفقا لثقل اللسان، وذلك لأجل إذابته البلغم والرطوبات من اللسان أيضا ويحللها.

وقشور الكندر تصلح جدًّا لقلع الآثار والقروح من العين، وذلك لأنها أشدّ تجفيفًا وجلاءً من الكندر، وأشدّ قبضًا وتقويةً، فلذلك هذه القشور شديدة النفع للقروح، ولجلاء آثارها وأوساخها، وإذا قُلي الكُنْدُر كان صالحًا لجلاء العين، وذلك لأجل زيادة تجفيفه حينئذٍ، إلى أن قال:

«الفصل الرابع، في فعل الكندر في أعضاء الصدر» «إن الكندر يكثر ما يحدث منه في داخل الصدر، أما من التصعد إلى الرأس فذلك ظاهرٌ، لأجل حصول فضاء الصدر في طريق هذا المتصعد، وأما من مسام الحجاب الفاصل بين المريء وقصبة الرئة، فلأجل شدة لطافة أرضية الكندر، وقبولها للنفوذ في مسام هذا الحجاب، وذلك بما في الكندر من قوة النفوذ، لأجل ما فيه من النارية، وإذا كان كذلك، فلا محالة أن فعل الكندر في أعضاء الصدر يجب أن يكون شديدًا، ولذلك

فإنه يشتد نفعه للسعال، خاصة البارد، والبلغمي، ويجفف البلغم من الصدر،
فلذلك يجفف النَّفْسَ ويُسهِّلُه، ويُسهِّلُ النَّفْثَ لأجل تلطيفه البلغم وتجفيفه له.
وإذا شُرب الكُنْدُرُ، خاصة قشره، قطع نفث الدم، وذلك بما فيه من التغذية
والتسديد مع القبض، ولأجل إحامه التفرق المحدث لهذا النفث، وقشره أشد قبضاً
لهذا النفث، وذلك لأجل زيادة قبضه وتجفيفه.

والكندر مع لطافة جوهره، وشدة لطافة أرضيته، هو ذو عطرية، فلذلك هو
يقوّي الروح الحيواني والنفساني أيضاً. وكذلك أيضاً فإنه يقوّي الحفظ والذكر،
ويُصلح الدهن، إذا استعمل بقدر معتدل، وسبب ذلك أن الكندر لأجل شدة لطافة
أرضيته، يكون ما يتصعد منه ويحصل في فضاء الصدر، شبيهاً بجوهر الروح،
فلذلك يكون صالحاً لتغذيتها، فإنه يخالط ما يكون في الرئة من الأجزاء الهوائية
والأجزاء الخلطية المتبخرة من القلب. فلذلك كان الكندر كأنه يصلح لغذاء الروح،
فلذلك هو بالنسبة إليها ذو غذائية، ومع ذلك فإنه يقوّي الروح بعطريته، ويقوّي
القلب بذلك ويقبضه، فلذلك لا يخلو من ترياقية، وتفريح، ولكنه لأجل قوة حرارته
يقل تفريجه، وذلك لأنه يجعل استعداد الروح للحركة إلى خارج استعداداً لأن تكون
حركتها هذه قوية شديدة، فتصير الروح بذلك مستعدة للغضب، لا للفرح، فلذلك
كان تفريح الكندر قليلاً.

ويدخل الكندر كثيراً في أدوية قصبة الرئة، لأنه يكثر نفوذه إليها، وإذا خلط
الكندر بالطين المسقى قيمولياً مع شيء من دهن الورد، كان ذلك نافعاً للأورام الحارة
في أثداء النساء اللاتي تكون فيهن».

«الفصل الخامس، في فعل الكندر في أعضاء الغذاء» «إن هذا الدواء لما كان
حاراً، فهو يعين على الهضم، ويسخن المعدة، ولما كان لا يخلو عن قبض وعطرية،
فهو لا محالة يقوّي المعدة ويشدها، خاصة فم المعدة، ويمنع القيء، وذلك لأجل

تقويته فم المعدة، وتجفيفه إياها، وكذلك أيضاً يزيل الغثيان والتهوع، وقشاره أشد تقوية للمعدة، لأنه أشد قبضاً منه، وأشد تجفيفاً.

وإذا مُضِغَ الكُنْدُرُ أعان ذلك على الهضم، بما يجلب إلى المعدة من الأجزاء التي تنحلّ منه، وتصحب الريق. والكندر نفسه أغوّن على الهضم من قُشاره، لأنه أسخن من هذا القشار، وكذلك ينقي المعدة من الرطوبات والبلغم، وهذا بإنضاجه لهذه الرطوبات، فتتبيهاً للاندفاع وتجفيفه لها.

ويشتد نفعه لمن معدته مسترخية بكثرة الرطوبات، خاصة قشاره، وكذلك هو نافع للكبد، ينضج فضولها، ويفتح سددها، وإذا كانت المعدة أو الكبد باردة؛ كان نفع الكندر لها أشدّ وأكثر. وهو يحرق الدم إذا أُكثِرَ منه، ويجففه، ويولد من ذلك السوداء، فلذلك كان الإكثار من الكندر يولد الجذام والبهق الأسودين، وقشاره يجفف الدم أكثر، لأنه أشد تجفيفاً من الكندر نفسه.

وإذا أُحْرِقَ الكندر، وتُضْمِدَ برماده؛ أنبت الشعر في داء الثعلب.

والكندر يطرد الرياح من المعدة والأمعاء، ونحوها، ويحلل النفخ، وينفع جدّاً من القراقر، لأنه مع تحليله للرياح يجفف الرطوبات وينضجها، وينفع من القروح الكائنة في المعدة والأمعاء، وذلك لأجل تجفيفه لها، وتنقيته إياها.

ومضغه يقوي اللثة، ويثبت الأسنان، وذلك بما فيه من القبض والتجفيف.

«الفصل السادس، في فعل الكندر في أعضاء النفس» «إن الكندر لما كان

قابضاً مجفّقاً هاضماً، فهو لا محالة يعقل البطن، خاصة ما يكون استطلاقه من كثرة الرطوبات، أو ضَعْفٍ، أو زَلَقٍ، وكذلك ما يكون من قروح الأمعاء، ويحبس الخلفة القديمة لأجل تجفيفه وهضمه، وينفع من دوسنطاريا، وقيام الدم، لأجل تغريته وحبسه الدم، وكذلك هو يقطع النزف من أي موضع كان، حتى من الرحم ومن الأنف، ومن المقعدة، وينفع جدّاً من قروح الأمعاء، وقروح المقعدة، ويمنع من انتشار قروح المقعدة، وذلك بما فيه من التجفيف والتحليل والتقوية، وكذلك

يُستعمل كثيراً في منع انتشار القروح الخبيثة، وقد يُتخذ منه فتيلة لأجل قروح المقعدة، وللزحير.

وينفع كثيراً من قيام الأضراس، لأجل تغريته، ويُسكن وجع المعدة والأمعاء، أما إن كان ذلك عن ريح فلاجل تحليله لها، وأما إن كان ذلك عن سحج وقروح، فلاجل تغريته وتجفيفه القروح، وإذا سقي الكندر مع شيء من الناخوة نفع ذلك من الزحير».

«الفصل السابع، في بقية أحكام الكندر» «إن أفضل الكندر هو الدَّكْرُ الأبيض المستدير، الدَّبِقِيُّ الباطن، الذهبي المكسر، السريع الاشتعال، وإنما كان ذلك لأن ما يكون من الكندر كذلك، فهو خالص غير مغشوش. وإذا خلط الكندر بالعسل، كان علاجاً جيداً للداحس، وفُشاره جيد جداً لآثار القروح، وذلك لأجل قوة جلاء هذه القشور، لأجل شدة تجفيفها. وإذا خلط الكندر بالزيت والخل، نفع جداً من الثآليل التي يحس فيها بما يشبه دبيب النمل.

ويدخل الكندر كثيراً في الأضمدة المحللة لأورام الأحشاء، وذلك لأنه مع قوة تحليله، عطرٌ، يقوّي الأحشاء، ولأجل تجفيفه وتغريته هو يدمل الجراحات، خاصة الطرية منها، ويمنع القروح الرديئة والخبيثة من الانتشار، ويملاً القروح العميقة، لأنه بتجفيفه يزيل المائع من نبات اللحم في القروح.

وإذا خلط الكندر بالخلّ والزفت، قلع القوابي، وإذا خلط بشحم البط، أبرأ القروح العارضة من حرق النار، والشقاق الحادث من البرد، ولأجل إنضاج الكندر للبلغم، وتلطيفه له وتحليله إياه، هو نافع من الحمّيات البلغمية، خاصة وهو بتجفيفه يزيل ما في البلغم من العفونة ومن الاستعداد لها.

وإذا استكثر من الكندر مع الخلّ والخمر، قتل، ومع ذلك فإنه لا يخلو من ترياقية، وكذلك فإنه يُدخّن به للوباء، فينفع، وسبب ذلك تجفيف دخانه لما في الهواء من الرطوبات المُعدّة له للعفونة والفساد». انتهى كلام ابن النفيس. ومن تأمله وجده قد جمع كلام من سبقوه من الأطباء والعشابين، ولكنه زاد بذكر مصدر كل خاصية من خواص الكندر من جهة ماهيته، أي من جهة تركيبه الداخلي، والذي تركنا نقله لعدم حاجتنا له، وقد رأيت أيضا أن أترك القارئ يقرأ كلامه مسرودًا دون توقف، فلذلك لم أضع أرقامًا للخواص التي ذكرها، وهي في الغالب لم تخرج عن أقوال غيره.

6/ الغساني يوسف بن رسول «ت694هـ» في كتاب «المعتمد في الأدوية المفردة».

والغساني هو الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول حاكم اليمن، أحد ملوك الدولة الرسولية، وكتابه «المعتمد» هذا من أشهر وأنفع كتب المفردات الطبية، وقد جمع فيه ما ذكره خمسة من كبار العشابين والأطباء العرب الذين سبقوه، وهم:

1. ابن الجزار القيرواني (ت369هـ)، في كتابه «الاعتماد في الأدوية المفردة»، الذي سبق لنا نقل ما ذكره في الكندر، إلا أن الغساني لم ينقل كامل كلامه في الكندر.

2. الزهراوي القرطبي، المتوفى بعد عام 400هـ، في كتابه «تفسير العقاقير وإبدالها».

3. ابن جزلة البغدادي (ت493هـ)، في كتابه «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

4. أبو الفضل حُبِيش التفليسي (ت625هـ)، في كتابه «أودية الأودية في الأدوية المفردة وكيفية أخذها».

5. ابن البيطار المالقي (ت646هـ)، في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية

والأغذية».

فما يذكره الغساني في «المعتمد» إنما هو مختصر ما في هذه الكتب، وقد قال عن الكندر: «الكندر بالفارسية، هو اللبان بالعربية، وعن الأصمعي: ثلاثة أشياء لا تكون إلا باليمن، وقد ملأت الأرض: اللبان، والورس، والعصْب، يعني برود اليمن. وأكثر اللبان في شحر عُمان، وقيل: إنه لا يكون إلا فيه، وشجرته قدر ذراعين، ولها ورق وثمر كورق الآس، وثمره مرّ الطعم، وعَلَّكه الذي يُمضغ هو الكندر، يُعقر بالفأس، فيظهر في مواضع العقر اللُّبان، فيُجتنى، وأجوده الذَّكر، وهو الأبيض الصلب المستدير الحَبَّة، الذي لا ينكسر سريعاً، وإذا انكسر كان ما في داخله يَلْزَق، وهو يسخن في الدرجة الثانية، ويجفّف في الدرجة الأولى، وفيه قبض يسير، إلا أن الكندر الأبيض ليس يتبين فيه قبض، والكندر يقبض ويحلل من غير أن يُنضج».

ثم قال في خواصه الطبية:

«1. يقبض ويسخن، 2. ويجلو ظلمة البصر، 3. ويملاً القروح العميقة ويدملها، (وذكر بعد انتهاء هذا النص أنه ينفع من قروح الأمعاء) 4. ويُلزق الجراحات الطرية التي بدمها، 5. ويقطع نزف الدم من أي موضع كان، (وذكر بعد انتهاء هذا النص أنه يقطع الرعاف الحجابي، ونزف الدم من الرِّجَم) 6. وهو يُحرق الدم والبلغم، 7. ويُنشّف رطوبات الصدر، 8. ويقوي المعدة الضعيفة، 9. ويسخنها، 10. ويسخن الكبد، إذا بردتا، 11. وإذا نُقِع منه مثقال في ماء وشُرب كل يوم؛ نفع من البلغم، 12. وزاد في الحفظ، وجلا الدَّهن، وذهب بكثرة النسيان، 13. وهو يهضم الطعام، 14. ويطرّد الرياح، 15. وهو جيّد للحُمى، 16. ويقطع الخِلْفَة (يعني فساد المعدة من الطعام، ويسمى أيضاً بالهَيْضَة)، (ونقل بعده أنه يسقى منه المصاب بالزحير مع شيء من النانخوة، والزحير نوع من أنواع الإسهال) 17. ويقطع القيء، 18. وينفع الخفقان، 19. وإذا مُضِغ جذب الرطوبات والبلغم من الرأس، 20.

ومضغه مع الصعتر أو زبيب الجبل يجلب البلغم وينفع من اعتقال اللسان، 21. وهو مقو للروح التي في القلب، والتي في الدماغ، فهو لذلك نافع من البلادة والنسيان، وحاله مناسب لحال الهمّين (قلت: والهمن ثمرة معروفة، نحصل عليها من العطارين الهنود، وهو من الأدوية المجربة لتقوية القلب) إلا أنه أضعف منه لتقوية القلب، وأقوى عطرية، 22. وبالترياقية التي فيه (يقصد بكلمة الترياقية فاعليته في مقاومة السموم) تنفع دخنته من الربو، 23. وهو ينفع السعال، 24. ومضغه يشد الأسنان واللثة ويصلحها» انتهى.

7/ داود الأنطاكي «ت 1008هـ» في كتابه «تذكرة أولي الألباب».

قال: «هو اللبان الذكر، ويسمى البستج، صمغ شجرة نحو ذراعين، شائكة، ورقها كالأس، يجنى منها في شمس السرطان، ولا يكون إلا بالشحر وجمال اليمن، والذكر منه المستدير الصلب الضارب للحمرة، والأنثى الأبيض الهش، وقد يؤخذ طرياً ويجعل في جرار الماء ويُحرك فيستدير، فيسمى المدحرج، وتبقى قوته نحو عشرين سنة، وهو حار في الثالثة، أو الثانية، يابس فيها، أو هو رطب».

وقال في خواصه الطبية:

1. يحبس الدم، خصوصاً قشره، 2. ويجلو القروح، 3. ويصفي الصوت، 4. وينقي البلغم خصوصاً من الرأس، مع المصطكى، 5. ويقطع الرائحة الكريهة، 6. وعُسْر النَّفَس، 7. والسعال، 8. والربو، مع الصمغ، 9. وضعف المعدة، 10. والرياح الغليظة، 11. ورطوبات الرأس والنسيان وسوء الفهم بالعسل أو السكر فطوراً، 12. ويجلو القواحي ونحوها (يقصد الأمراض الجلدية) بالخل ضماداً، 13. ويخرج ما في العظام من برد مزمن، إذا شُرب بالزيت والعسل، ومُسِك عن الماء، 14. والبياض (لعله يقصد البهاق والبرص) والأورام مع الزفت، 15. وقروح الصدر، 16. ونحو القواحي (يقصد الأمراض الجلدية) والثآليل، بالنطرون، 17. والتمدد والخدر (يقصد التنميل) بالخل، 18. والدااحس (يقصد الورم الذي يصيب محل اتصال الأظافر

باللحم) بالعسل، 19. وجميع الصلابات، بالشحوم، 20. ومن الزحير (نوع من الإسهال) بالنانخواه، 21. وسائر أمراض البلغم بالماء، 22. وتحليل كل صلابة بالشيرج (وهو دهن أو زيت السمسم)، 23. وأمراض الأذن بالزيت مطلقاً، 24. والبياض والجرب والظلمة والحكة وجمود الدم (وهذه كلها من أمراض العين) كحلًا، خصوصًا بالعسل، 25. وكذا الدمعة والغِلْظ والسلاق (وهذه أيضًا من أمراض العين) وجروح العين، سيما دخانه المجتمع في النحاس، (يقصد داود حرق الكندر مع تغطيته بإناء نحاس، ثم يجمع السواد الحاصل منه الذي هو الهباب ويكتحل به)، 26. ويزيل القروح كلها، باطنة كانت أو ظاهرة، شربًا وطلاءً (يقصد بالطلاء استعمال الزيت المطبوخ فيه الكندر)، 27. ويزيل الخلفة والغثيان والقيء، 28. والخناق والربو، بالصمغ، 29. ويزيل ثقل اللسان بزبيب الجبل، والصعتر، 30. ويزيل الدم المنبعث مطلقاً، 31. ويزيل ضعف الباه، (يعني الضعف الجنسي) بالنيمرشت مجرب (والنيمرشت هو البيض المطبوخ دون درجة النضج، أو ما نسميه بالعامية نصف استواء) مجرب، وقال في خاتمة هذا النص: إنه يصلّب الصلب منه مضغ الجوزة (يعني جوزة الطيب) والبسباسة معه، وفيه معهما سرّ ظاهر في المنيّ، (يعني أنه يغزل كمية المني) 32. وانتثار الشعر (يعني تساقط الشعر) بدهن الآس (يعني دهن الريحان)، 33. ودخانه (يعني استعماله بخورًا) يطرد الهوام، ويصلح الهواء، والوباء، والوخم، 34. وقشاره أبلغ في قطع النزف، وتقوية المعدة، وكذا دقاغه (ويقصد بالدقاق هو ما يسقط تحت المنخل عند نخل الكندر دون أن ندقه، فهو الغبار الملتصق به والذي ينفصل عنه بالنخل) في الجراح، والقطور في الأذن، 35. وثمر شجره الشبيه بحب الآس يزيل الدوسنطاريا» انتهى.

8/ أبو الوليد ابن رشد «ت595هـ» في كتابه «الكليات في الطب»

قال: «الكندر، يسخن في الدرجة الثانية، ويجفف في الأولى، وذلك أن طعمه مر مع قبض، 1. وهو دواء منبت للحم في الأبدان الرخصة، 2. وفيه أيضًا إنضاج ما،

(وهذا مصطلح طبي يمكن معرفة معناه بقراءة شرح الأطباء للأدوية المنضجة)، 3. وأما قشر الكندر فقوته قابضة قبضاً بيّناً، حتى أنه في الدرجة الثالثة من درجات الأدوية المجففة، وليس فيه حدة، ولا حرافة، ولذلك يستعمل في مداواة نفث الدم، وفيمن معدته رطبة، وفي النزف، وفي قرحة الأمعاء». انتهى.

9/ موفق الدين البغدادي «ت629هـ» في كتاب «الطب من الكتاب والسنة» المنسوب إليه.

قال: «اللبان: هو الكندر، .. وهو كثير النفع، نادر الضرر، 1. ينفع من وجع المعدة، 2. ويطرد الريح، 3. ويُنبت اللحم في القروح، 4. ويجفف البلغم، 5. ويجلو العين، 6. وإذا مُضغ بالصعتر نفع من اعتقال اللسان، ويزكي، 7. وبخوره نافع من الوي (كذا في المطبوع)، 8. يطيب الهواء، 9. ويزيد في الحفظ، ويفطر عليه مع الزبيب الأسود وقلب الفستق، فيورث الزكاء (كذا في المطبوع والصواب: الذكاء بالذال)، 10. ومع الورد الورد المرّ ينفع من كثرة إدرار البول، ومن يبول في فراشه، 11. وإذا نُقع الكندر، وشرب على الريق نفع النسيان». انتهى.

11/ أبو القاسم السلماي الغساني المعروف بالوزير «ت بعد 999هـ» في كتابه «حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار»

قال: «الكندر 1. نافع من نزف الدم وقذفه، 2. ومن وجع المعدة، 3. واستطلاق البطن، 4. يجلو ظلمة العين وقروحها، 5. يملأ القروح العفنة ويُدملها، 6. ويمنع القروح الخبيثة والجراحات الطرية التي في سائر البدن. وخصوصاً قروح المعدة. من الانتشار والسعي في البدن، 7. وإذا دُقَّ وعُجِنَ بماءٍ، وعُمِلَ على الحاجب لوجع الشقيقة والعين نفعهما نفعاً بليغاً، 8. وإذا لُطخ به على القوباء نفعها وأدملها، 8. ويلزق الجراحات الطرية ويُرَبِّها (وهذا تكراراً لما ذكره قبل قليل وجعلنا له الرقم 6)». انتهى.

11/ أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي «ت بعد 400هـ» في كتابه

«التصريف لمن عجز عن التأليف»

والزهراوي هو أشهر الأطباء الجراحين، بل هو مصدر التقدم في علم الجراحة في العالم، وقد قال في كتابه المذكور، فيما يستعمل ضمادًا خارجيًا بعد جراحة تجبير الأنف: «بل ينبغي أن تبل الفتيلة في بياض البيض معجونًا في غبار الرحاء، ثم تترك الفتل، حتى يثبت العظم ويصلب الغضروف، فإن للأنف في خلال عملك ورم حار، فتضمد الأنف بالقيروطي، أو بقطنة مغموسة في خل ودهن ورد، أو شيء من مرهم الدياخیلون، فإن لم يعرض ورم حار؛ فينبغي أن تضمده خارج بدقيق السميد ودقيق الكندر، قد عجنا ببياض البيض، ثم تضع عليه مشاققة لينة، ولا تربط الأنف بشيء البتة» انتهى.

وبعد، فهذه جملة مما ذكره بعض الأطباء والعشابين من خواص وتأثيرات «اللبان» أو «الكندر».

ومما جربناه بأنفسنا ولا نزال نفعله ونجد أثره من هذه الخواص المذكورة، هو استعماله في تقوية الحفظ والذاكرة، وذلك بشربه محلولًا في الماء ومحلًا بالعسل على الريق لمدة شهر تقريبًا.

وكذلك استعماله في الإيقاف الفوري المؤقت للسعال، عند المصاب به، وذلك عندما يحتاج إلى توقفه مدة ساعة مثلاً، كأن يكون طالبًا، ويحتاج إلى ساعة يركّز فيها في استماعه الدرس، وحتى لا يزعج من حوله أيضًا بكثرة السعال، فإنه يضع في فمه قطعة من اللبان ويظل يمصها، إلى أن تنتهي فيضع أخرى، فإنه ما دام يمص اللبان فلن يسعل، ولكنه عندما يتركه يعود إليه السعال، إلا أنه إن أدام استعماله يوميًا كاملاً قطع السعال، أو خفف منه كثيرًا.

فصل في ذكر بعض ما أظهرته الدراسات الحديثة فيما يتعلق بالكندر

هناك الكثير من الأبحاث والدراسات المتعلقة بالكندر «اللبان» والتي قام بها بعض الصيادلة المعاصرون، وبعض الأطباء والباحثين في علوم الغذاء والدواء، ولكن ظهر لي أن المنشور منها قليل جداً.

ومما وجدته يشار إليه كثيراً: رسالة دكتوراه نالها أحد الباحثين في دولة عمان، وهو الدكتور محسن بن مسلم بن حسن العامري الذي قدم دراسته لنيل شهادة الدكتوراه من أكاديمية موسكو للعلوم الزراعية وبإشراف من جامعة السلطان قابوس، وكانت أطروحته العلمية حول الكندر، وقد وجدت الاقتباس والنقل عنه في كثير من المواقع، ولكن رسالته ليست منشورة، وقد بحثت عنها كثيراً ولم أستطع الوصول إليها.

ومن البحوث العلمية المنشورة أيضاً، بحث كتبه باحثة كردية تدعى: سوسن البياتي، وهو بحث علمي جيد منشور في موقع «كوردستان»، وبحث ثالث كتبه الدكتور خالد مصيلحي، أستاذ العقاقير والنباتات الطبية، بكلية الصيدلة جامعة مصر الدولية، وبحث رابع قامت به الدكتورة أسماء إبراهيم، المدرسة المساعدة بقسم العقاقير، بجامعة مصر الدولية أيضاً، وبحث خامس قامت به الدكتورة سينتيا الحاج.

ولأنني لم أستطع الحصول على النسخ الأصلية الموثقة من هذه البحوث، وما ينشر على الشبكة لا يوثق بصحته، ما لم يكن منشوراً في المواقع الرسمية للجامعات والهيئات العلمية، فأنا أنقل هنا ملخصاً لجميع الخواص الطبية والعلاجية للكندر المنشورة في المواقع العادية، أنقله من باب الاطلاع على الأمور المنشورة على الشبكة، والتي كتب في بعضها أنه مما توصل إليه الباحثون والصيادلة من خواص وفوائد الكندر، وذلك ريثما نحصل على نسخ صحيحة معتمدة من بحوثهم العلمية.

ومجمل نتائج هذه البحوث المذكورة هو كالاتي:

1. تأثيره في تسكين الألم

مسكن فعال للألم في جميع أنحاء الجسم، ويعمل كمسكن للمغص ووجع الصدر.

2. تأثيره على المخ، والجهاز العصبي

مهدئ طبيعي للأعصاب، فهو يعالج حالات القلق والتوتر والإجهاد العصبي، ويعالج الأرق ويساعد على الاسترخاء العام، ويمنع الشعور بالضعف والإرهاق المزمن، إذ يعتبر منشطاً عاماً للجسم، ويزيد من طاقة الجسم بشكل عام، ويزيد من الحيوية والنشاط، وينشط الدماغ، ويزيد قوة الذاكرة ونسبة الذكاء، فهو يقوي الجهاز العصبي، وأثبتت بعض أبحاث علم العلاج بالروائح كفاءة الزيت الطيار للبان في علاج الاكتئاب، وبعض أمراض الجهاز العصبي، عندما يتم تبخيره وشم رائحته. ودلت بعض التجارب على أن حمض البوزويليك المتواجد في لبان الكندر يعتبر مضاداً للأكسدة، وللتهابات، وبالتالي فهو يساهم في المحافظة على الخلايا العصبية في المخ، ويعمل على تحسين الوظيفة الحركية، مما يؤدي إلى علاج داء «باركنسون»، ولكن الأمر يحتاج للعديد من الدراسات حتى يتم تأكيد مفعوله هذا.

3. تأثيره على المناعة

يحتوي على نسبة عالية من مادة الكورتيزون، مما يجعله مضاداً فعالاً لشتى أنواع الالتهابات والفطريات والبكتيريا، ويطهر الجهاز الخلوي، فهو يعتبر مطهراً عاماً لأعضاء الجسم الداخلية والخارجية، وثبتت قدرة الخلاصة المائية المحضرة منه على تنشيط جهاز المناعة عن طريق زيادة كفاءة بعض خلايا كرات الدم البيضاء، التي تلتهم الميكروبات، فهو مضاد للجراثيم والميكروبات وثبتت قدرة بعض خلاصاته في تنشيط الكبد ورفع كفاءته.

4. تأثيره في مقاومة مرض السرطان

يساهم في تحسين حالة المصابين بالورم الدماغي، بالإضافة إلى أنه يقلل من الالتهابات التي تؤدي إلى الإصابة بالعديد من أنواع السرطانات، فهو أيضاً قد يساعد على مهاجمة الخلايا السرطانية بشكل مباشر، كونه يمتلك خصائص مضادة للأورام، وبالتالي التقليل من نموها وتحفيز الموت المبرمج لها. وكتب في أحد المقالات: أن لبان الكندر يستطيع أن يعالج مرض السرطان، وذلك بفضل احتوائه على مادة البوزويلك، حيث أشارت بعض البحوث إلى أن لبان الكندر يقوم بالقضاء على الخلايا السرطانية، وذلك لغناه بخصائص مضادة للأورام، وهناك دراسة أخرى أثبتت أن زيت البوسويلا الذي يوجد في هذا اللبان، يقوم بإضعاف خلايا سرطان الجلد العدوانية بدون أن يضر بخلايا الجلد الجيدة. وفي دراسات حديثة بإحدى الجامعات اليابانية عام 2009، ثبت تأثير الزيت الطيار في اللبان على وقف نشاط بعض الخلايا السرطانية.

5. تأثيره في مرض السكر

يعمل كمنظم جيد لمعدل السكر في الدم.

6. تأثيره على القلب والدورة الدموية

له دور في تنظيم الدورة الدموية للجسم، لأنه يحافظ على معدل نبضات القلب بانتظام، كما أنه يساعد في خفض ضغط الدم المرتفع، ومشروب لبان الذكر يزيد من تدفق الدم في أوعية القلب، مما يؤثر في منع حدوث جلطات القلب.

7. تأثيره في الفم والأسنان

يمنع حدوث التسوس في الأسنان ويقوي اللثة، وله تأثير في تخفيف آلام الأسنان، ويظهر الفم واللسان من الميكروبات والبكتيريا، ويخلص الفم من الرائحة الكريهة، فهو يستخدم كغسول ومطهر للفم من البكتيريا والجراثيم، وهو فعال في تقرحات اللثة والفم .

8. تأثيره على الجهاز التنفسي

يفتح ممرات التنفس، ويقوي الجهاز التنفسي، يطرد البلغم، ويعالج السعال وشتى أمراض الصدر وأوجاعه، ويعالج صعوبة التنفس، حيث يساعد منقوع اللبان على تحسين قدرة الرئتين على استنشاق الأكسجين، وبالتالي حل مشكلة ضيق التنفس، له تأثير على التخفيف من الربو، حيث أظهرت دراسة طبية أن دور حمض البوزويليك الموجود في اللبان يساهم في الحد من التهابات الشعب الهوائية، بالإضافة إلى تثبيط إنتاج السيتوكينات؛ وهي أحد مؤشرات الالتهاب، كما أنه يعيق عملية الاستجابة لمسببات الحساسية التي تؤدي إلى تفاقم الربو.

فالمركبات التي يحتويها تعمل على منع إنتاج مادة اللوكوترينات التي تساهم في تشنج عضلات الشعب الهوائية وارتفاع خطر الإصابة بنوبة الربو والأعراض المرافقة لها؛ مثل ضيق التنفس وصفير الصدر، فهو يساعد في التخلص من أعراض البرد والصداع، إذ يستخدم كمطهر للجهاز التنفسي ويطرد البلغم، ويقلل من الإفرازات المخاطية ويحافظ على صحة القصبات الهوائية، وله دور فعال في علاج مرض الربو التحسسي.

9. تأثيره على الجهاز الهضمي

طارد للغازات وانتفاخات البطن، ويقوي الجهاز الهضمي، يمنع الإحساس بالغثيان ويعالج القيء، ينظم إفرازات الصفراء ويعالج الإمساك، يساعد في عمل الأمعاء بشكل صحيح، كما يحد من أمراض القناة الهضمية الالتهابية مثل مرض كرون والتهاب القولون التقرحي، وذلك لما يحويه من الفطريات والمواد المضادة للالتهاب، يساعد في التخلص من الإسهال المزمن، فقد أثبت الكندر فعاليته في علاج الإسهال المزمن خلال ستة أسابيع من الانتظام عليه، يمنع الإصابة بعسر الهضم ويبقي من حموضة المعدة، يعتبر فعالا في التخلص من الغازات في الجسم، ويرفع من كفاءة الجهاز الهضمي وينظم عمله.

هناك أبحاث خاصة أجريت على اللبان الهندي، أثبتت تحفيزه الشفاء بنسبة كبيرة لدى المرضى المصابين بالتهاب القولون، وتقليل الأعراض الناتجة عنه.

10. تأثيره على المسالك البولية

مدر طبيعي للبول، معالج طبيعي للقصور الكلوي، ومقو للجهاز البولي، يحمي الجهاز التناسلي من العديد من الأمراض، فهو يطهر الجروح الداخلية والخارجية ويسرع من شفائها.

وعلى الرغم من فوائده الكثيرة في علاج أمراض الكلى، إلا أنه يجب استخدامه بحذر شديد لأنه يؤثر على مستوى تركيز بعض العناصر والمواد المهمة للكلى، أهم هذه العناصر: الكالسيوم والكرياتينين والفسفور والحمض البولي، واليوريا والنيروجين، لذلك يختلف تأثير اللبان من جسم لآخر، فيجب عمل بعض التحاليل واستشارة الطبيب، لكي لا يتسبب في أضرار للكلى.

11. تأثيره على الجهاز التناسلي

منشط ومطهر للرحم وللجهاز التناسلي، ويزيد إفراز هرمون الإستروجين الأنثوي؛ فهو يمنع تكوّن الأكياس والألياف داخل الرحم ويقلل فرص حدوث أورامها، كذلك فهو ينظم الدورة الشهرية لدى النساء، لأنه ينظم إفراز هرمون الإستروجين المسؤول عن انتظام الدورة الشهرية، ويساعد في تخفيف الآلام المصاحبة لها، منشط جنسي طبيعي للرجال والنساء، يساهم في تنشيط هرمونات الأنوثة لدى النساء، ويحول دون تشكّل الألياف والأكياس داخل الرحم؛ الأمر الذي يقلل من احتمال الإصابة بأورام الرحم، ويعد علاجاً طبيعياً للتخلص من تقلصات الرحم وتشنجاته.

وكتب في أحد البحوث أنه يُنصح بتناوله خلال الأشهر الأولى من الحمل لأنه يمنع الشعور بالغثيان، إلا أنه جاء عكس ذلك في بحث آخر، فيه التحذير من استعمال الحامل له، إذ كتب في هذا البحث أنه لا ينصح باستخدام اللبان للحامل،

حيث أن له أضرارًا كبيرة عليها بالرغم من فوائده الأخرى الكثيرة المذهلة، ومن بين هذه الأضرار: أنه قد يعمل على زيادة تدفق الدم في الرحم والحوض مما قد يسبب الإجهاض، وقد يسبب الإحساس بالغثيان بشكل كبير، وقد يؤدي إلى زيادة ظهور الحموضة الارتجاعية للحامل، وقد يحدث طفح جلدي مزعج للحامل، وقد يقوم بإحداث إسهال مستمر.

12. تأثيره على العظام

يعالج هشاشة العظام، ويساعد على سرعة التئام الكسور.

13. تأثيره على المفاصل

أثبتت بعض الأبحاث قدرة خلاصة اللبان في علاج بعض الأمراض الروماتيزمية، وآلام المفاصل، فله فوائد مذهلة في التخفيف من الأعراض المرافقة للإصابة بالتهاب المفاصل، وذلك يعود إلى خصائصه المضادة للالتهاب، حيث يعتقد الباحثون أنه يمنع إفراز مادة معينة في الجسم تدعى لوكوترينات، والتي تلعب دوراً مهماً في الاستجابات الأرجية (أي الاستجابة المناعية المفرطة)، بالإضافة إلى ذلك يحتوي اللبان على مواد حمضية قوية مضادة للالتهاب؛ وهي أحماض البوريك والتربين، وهي من أقوى مضادات الالتهاب، وحمض البوريك من المعروف أنه يدخل في صناعة الأدوية المضادة للالتهاب، وبذلك فإن الكندر يخفف من تورم المفاصل والألم الناتج عن الإصابة بالتهاب المفاصل والذي يحصل عادة بفعل هشاشة العظام عند كبار السن.

14. الشعر

يعمل على تقوية بصلة الشعر، ويمنع تساقطه ويمنحه بريقاً ولمعاناً، يزيد كثافته، ويخلصه من القشرة ويطهره من البكتيريا والفطريات، عند دلكه بمنقوع اللبان، حيث أن المادة الصمغية الموجودة بلبان الكندر تقوم بترطيب بصيالات

الباب الثالث: في الصمغ وما ذُكر من خواصه وآثاره في كتب الطب

ولا يفوتني أن أذكر قبل أن نشرع في سرد ما نختاره من كلام الأطباء في خواص الصمغ العربي، أنني وجدتُ الموريتانيين «الشناقطة» أكثر الناس استعمالاً له في معالجة أمراض البدن، في عصرنا الحالي، ويظهر أن ذلك كان متوارثاً عندهم منذ القديم، وعندهم فيه الكثير من المجربات، ويسمونهُ: «العلك».

1/ ابن سينا في كتاب «القانون»

قال: «الاختيار: أجوده العربي الصافي القليل الخشب

الطبع: أنواع الصمغ كلها حارة جداً.

الخواص: 1. قابض 2. ومغري مع تجفيف وتقوية، وصمغ الأفاقيا أقوى جداً، ولذلك يقع في الترياقات (يقصد الأدوية المركبة المقاومة للسموم القتالة) أعضاء الصدر: 3. يلين السعال الحار، 4. ويدفع ضرر قروح الرئة، 5. ويصقي الصوت،

أعضاء الغذاء: 6. يقوي المعدة». انتهى.

2/ أبو بكر الرازي في كتاب «الحاوي»

قال: «قال جالينوس: قوة الصمغ تجفف وتغري، والأمر فيه لذلك بين، 1. أنه يذهب خشونة».

وقال بديغورس: 2. الصمغ العربي يلين خشونة الصدر، 3. ويعقل البطن

وقال أبو جريح: أجوده الصافي، القليل الخشب، 4. وهو ممسك للبطن، 5.

ويقوي المعى، 6. ويجبر العظام الكسيرة، متى تُضمّد به، 7. ويدفع ضرر قروح الرئة، لأنه بارد يابس.

وقال حنين في «الترياق»: في الصمغ مع تغريته يبوسة غالبية، فهو لذلك بالغ

في الأمكنة التي يحتاج فيها مع تغرية إلى تجفيف. انتهى.

3/ ابن الجزار في «الاعتماد في الأدوية المفردة»

بعد كلام عن الفرق بين نوعي الصمغ: الحجازي المستخرج من شجرة أم غيلان والمصري المستخرج من شجرة الشوكة المصرية، قال ابن الجزار:

«1. والحجازي أقوى وأكثر موافقة في تليين خشونة الصدر، 2. والعين، 3. والمصري أوفق في تقوية المعدة والأمعاء، لأن قبضه أقوى، وبالجمله فإن قوته قوة الصمغ، ومنافعه مثل الكبير، إلا أنه أيبس منه، ولذلك 4. يحبس البطن، 5. وإذا لُطخ ببياض البيض على حرق، لم يدعه يتنقّط». انتهى

4/ الغساني في كتاب «المعتمد»

قال: «الصمغ العربي هو صمغ شجرة القَرْظ، والجيد من صمغ هذه الشوكة ما كان شبيهاً بالدود، ولونه مثل لون الزجاج الصافي، وليس فيه خشب، وبعده ما كان أبيض، وأما ما كان شبيهاً بالراتينج وسخاً، فإنه ردي، وقوة الصمغ تجفّف وتُغري، 1. يُسقى فيذهب بالخشونة، 2. ويمنع حدّة الأدوية الحادة، 3. وللحروق: يخلط ببياض البيض ويلطخ به حرق النار، فيمنعه من أن يتنقّط (ومعنى التنفط هو خروج البثور المملوءة ماء، يعني أنه يحد من آثار الحرق)، 4. وهو بارد قليل الرطوبة يمسك الطبيعة من كثرة الخلفة (يعني أنه يوقف الإسهال الحاصل من الطعام الفاسد)، 5. ويُغري المعى إذا وقع فيها سحج، 6. ويمسك الكسر من العظام وغيرها إذا ضُمد به، 7. ويسكن السعال إذا وُضع في الفم وامتنص ما ينحل منه، أو خُلط ببعض الأدوية التي تنفع من السعال، 8. وينفع من القروح التي في الرئة إذا شُرب منه، 9. وينفع الرمد في العيون (يقصد إذا اكتحل به)، (وقال بعده: إذا حُلّ في الورد. يقصد دهن الورد. وقُطِر في العين، نفع من الرمد وخشونة الأجفان ومن قروحها) 10. ويُصلح الأدوية المسهلة إذا خلط بها، ويدفع حدّتها، ويكسر عاديّتها 11. وينفع من نزف الدم من أي موضع كان في البدن، ومن البواسير ومن الأرحام إذا سحق منه مقدار مثقال وخلط في أوقية سمن بقري مذاب، وشرب، (قال بعده: إن

المقلوّ منه في دهن الورد أقوى منفعة في انبعاث الدم من الصدر) 12. وهو يصفي الصوت، 13. ويقوّي المعدة، 14. وينفع من الإسهال الصفراوي» انتهى.

5/ داود الأنطاكي في «التذكرة»

قال: «أجوده الأبيض الشفاف الحديث، وهو معتدل، يابس في الثانية، وجالينوس يرى أن الصموغ كلها حارة، وهو 1. يذهب السعال، والخشونة (يقصد جفاف الحلق)، 2. وأوجاع الصدر، 3. ويقطع الدم إذا قُلي في دهن الورد، مجرّب، ومثقال منه مع أوقية من السمن، كل يوم إلى أسبوع، يحبس الدم حيث كان (يعني النزيف الداخلي والخارجي، وهذا مهم تجربته في عصرنا في الجروح التي تحصل لمرضى السكر)، 4. وهو يصلح الأدوية ويكسر حدّتها، 5. يصلح الخشونة، 6. والبواسير، 7. وضعف الكلى، 8. والهزال (يقصد مرض هزال الكلى)، 9. وإن حل في بياض البيض منع حرق النار، وسفع الشمس (ظاهر العبارة معناها أن الطلاء به يكون كالطبقة المانعة من الحرق، ولكن لعل المعنى المراد أنه يعالج به حرق النار فيمنع زيادة نكايته بالجلد ويضعف من تأثير الحرق)، 10. وإن حل في ماء الورد يدفع الرمد وغلظ الأجفان والسلاق والجرب (يعني يستعمل لأمراض العين قطرة)». انتهى.

6. ابن النفيس في كتاب «الشامل في الصناعة الطبية»

وفي كلامه عن «الصمغ» أطال الكلام في التركيبة الداخلية له، فذكر النسبة المائية والدهنية والدسمية والهوائية المنعقدة فيه، واعترض على قولهم بأنه صمغ شجرة القرظ، وقال إن الحق أنه صمغ شجرة أم غيلان، وذكر سبب عدم تأثيره في أعضاء الرأس، أي عدم استعماله في علاج أمراض الرأس، ثم قال:

«1. ولكنه إذا استعمل من خارج، كان عظيم النفع في أمراض العين، وذلك لأنه بغرويته يكسر حدّة ما يلقاه، سواء كان ذلك دواء أو خلطاً (يقصد بكلمة الخلط مرض العين الناتج عن سبب داخلي في البدن) وكذلك إذا وقع في الأكحال، كسر حدّتها، ودفع مضرّتها بالعين، بما يتبع حدّتها، ومع أنه يكسر الجِدّة، فإنه يجفف

بقوة، فلذلك يجفف العين من الرطوبات والفضول، وينفع من الدمعة، ونحو ذلك.

وإذا حُلَّ في ماء الورد، وقُطِرَ في العين، نفع من الرمد، لأجل جذبه الأخلاط المزيدة، وتجفيفه لها، ولذلك فإنه يسكن الوجع حينئذ، لأنه يكسر حدة المادة الموجعة، بجذبه الصفراء والبلغم البورقي، ونحو ذلك.

وكذلك إذا ذُرَّ في المآقي، جَفَّ ما بها من الرطوبة الفضلية، وكسر حدة المادة الحاكّة واللذّاعة، ونفع من السحج والقروح القارحة في العين، وذلك لأجل تجفيفه، مع كسره حدة الموادّ، فضلاً عما يكون مُحدثاً لحدة ولدع، فلذلك هو شديد النفع لقروح العين ولجربها، ويُدَمِّلُ قروحها، لأن تجفيفه ليس بمفرط جداً.

ومع أن الصمغ يفعل هذه الأفعال، فإنه يُملَس، ويُذهب الخشونة، وذلك لأجل شدة ما يمدّه في سطح العضو، ويلزم ذلك أن يصير ذلك السطح أملس، خاصة وهو بغرويته ينبسط على ظاهر سطح العضو، فيحدث له استواء، وذلك مما ينتفع به جداً في أمراض العين» انتهى.

هذا، ومما اختصرته هنا من كلام ابن النفيس، وتقصدت عدم الإطالة بنقله، ما ذكره في سبب استعمال الصمغ في كسر حدة أدوية العين بخلطها به، وعدم استعماله في كسر حدة أدوية الإسهال، ومشابهته للنشا في ذلك، مع استعمال الكثيراء وهي نوع من أنواع الغرويات أيضاً، وقال بأن السبب في ذلك قوة التجفيف التي للصمغ وللنشا، فيبطلان الإسهال ويمنعان فعالية الدواء المسهل، وشرح ابن النفيس ذلك من جهة التركيب الداخلي للصمغ في كلام طويل، لا نحتاج إلى إيرادها هنا.

ولنرجع إلى إتمام كلامه، حيث قال:

«2. وكذلك. أي ينتفع به جدًا في أمراض الحلق والصدر، لأن هذه الأعضاء

تتضرر بالخشونة التي تحدث لها.

وإذا بُولغ في سحقه، ثم خُلِط بالعسل، أو ماء الشعير، أو شراب الرمان الحلو، ونحو ذلك، ولُعِقَ، كان شديد النفع لخشونة الحلق والصدر، 3. ولقروح الرئة، 4. وللنوازل الحادة، 5. والسعال اليابس، ونحو ذلك، لأنه إذا استُعمل على هذه الصفة كان ما ينفذ منه إلى داخل الصدر كثيرًا، وأثره في أعضاء الصدر قويًا.

ولا كذلك إذا جُعِل في المعدة، فإنه حينئذٍ تجتمع أجزاؤه، ويلتصق بعضها ببعض التصاقًا محكمًا، فلذلك يعسر حينئذٍ تصعد أجزائه إلى الرأس.

ولا كذلك نفوذ أجزائه إلى داخل الصدر، فإن هذه الأجزاء ليس يشتد تلازمها في مدة نفوذها في المرئ، فلذلك يسهل نفوذ كثير من أجزائه -حينئذ- إلى داخل الصدر.

5. وإذا خُلِط هذا الصمغ ببياض البيض، ولُطِخَ به حَرَقُ النار في أول حدوثه، منعه من التنقُّط، وذلك لأجل تجفيفه مع غرويَّته.

6. وإذا أُمِسِكَ هذا الصمغ في الفم، وابتُلِعَ الريق، صَقَى الصوت، لتميئسه لقصبه الرئة وغيرها، 7. ونفع من السعال وخشونة الصدر، 8. ونفع جدًا من النزلات الحادة الرقيقة المادة، لأنه مع كسره لحدتها بالتغرية، فإنه يُغَلِّظ قوامها، فمهيؤها للخروج بالنفث، ويدفع غائلتها.

8. وكذلك هذا الصمغ شديد النفع من الإسهال الكائن عن مادة حادة، لأنه مع كسره لحدّة هذه المادّة، فإنه بتجفيفه يحبس الإسهال، فلذلك هو شديد النفع في هذا الإسهال، خاصّة إذا حُمِصَ، وذلك لأن مائتيه تقلّ حينئذٍ جدًا، لأجل تجفيفه بالحرارة المحمّصة، وقد يُشرب منه للإسهال قدر مثقال، 9. وهو مع هذه الأفعال يُقَوِّي المعدة، لأنه يُجَقِّف بَلَّتْها المرخية لجرمها.

179

كثير، ثلاث أواق، يُخلطان، ويضاف إليهما ثمانية دراهم من الصمغ العربي، ويُطبخ ذلك حتى يثخن ويصير في قوام العسل، يُلَعَق منه عند النوم نصف أوقية».

الباب الثالث في القسط الهندي وما ذُكِرَ من خواصه و آثاره في السنة النبوية وفي كتب الطب القديم

1. الفصل الأول: فيما جاء من الأحاديث النبوية الشريفة

التداوي بالقسط الهندي سنة نبوية، وأنا أكاد أجزم بأن القسط الهندي هو الدواء النبوي الأول، والذي يستعمل في علاج غالب أمراض البدن الإنساني، وتأثيره سريعٌ وفعالٌ وعجيب في ذلك، لكن مع محاذير تُعرف من أهل الاختصاص، يجب أخذها بعين الاعتبار عند التداوي به.

وقد جاء ذكر كيفية التداوي به في الأحاديث النبوية الصحيحة، ولذلك نرى الكلام عنه وعن خواصه الطبية في جميع الكتب المصنفة في «الطب النبوي».

وقد اخترت من هذه الكتب كتابين، أنقل ما جاء فيهما عن التداوي بالقسط الهندي، أولهما قديم وهو كتاب «طب العرب» لعبد الملك بن حبيب تلميذ تلاميذ الإمام مالك، والذي تقدم النقل عنه في المقدمة، مع أنه يسرد الأحاديث دون أسانيد، ويسردها بحسب حفظه، إلا أنه يذكر أيضًا بعض ما بلغه مما كان منتشرًا ذكره آنذاك من طرق علاج الأمراض المختلفة استنادًا إلى الأحاديث النبوية الشريفة، وثانيهما: كتاب الإمام السيوطي الذي سماه «المهمل السوي في الطب النبوي».

ففي الكتاب الأول «طب العرب» يقول مؤلفه عبد الملك بن حبيب تلميذ تلاميذ الإمام مالك:

«وكان رسول الله ﷺ يأمر بالاستعاط بالقسط الهندي من الصداع، يؤخذ القسط فيُحَك بالسمسم، أو بالزنيق، ثم يُسَعَط به من به صداع، وعن يحيى بن سعيد، قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالاستعاط بالحبة السوداء، وهي الشونيز،

من الصداع، قال يحيى بن سعيد: وذلك أن تأخذ سبع حبّات، أو تسعاً، إلى إحدى عشرة، فمُهشَّمَن، ثم يُصَرَّرَن في خِرْقَةٍ، ثم تنقع الخرقة في ماء، ثم يُعَصَّرَن في مِسْعَطٍ على شيء من لبن امرأة، أو بنفسج، ثم يُسْعَط صاحب الصداع».

ثم قال أيضاً: «ما جاء في العُدرة، عن جابر بن عبد الله، أن امرأة دخلت على عائشة بابتن لها، وبه العُدرة، وقد أعلقت عنه، وأنفه يسيل دمًا، فدخل رسول الله ﷺ فرآه، فقال: وَيْلُكَ، لَا تَقْتُلَنَّ أَوْلَادَكَ بِالْإِعْلَاقِ، أيما امرأة أصاب ولدها عُدرةً، أو وجعٌ في رأسه، فلتأخذ قسطاً هندياً، وشيئاً من الحبة السوداء، فلتحكّه بشيء من زيت، ثم تسعطه إياه، فأمر رسول الله ﷺ عائشة ففعلت ذلك فبرئ.

قال عبد الملك: فسألت قدامة عن علاج ذلك (أي أنه سأله عن كيفية الحك، وكيفية السعوط، المذكورين في هذا الحديث)، فقال: تأخذ سبع حبّات من الحبة السوداء، فتجعلها في شيء من زيت، ثم تسهكها سهكاً (يعني تدقّها دقّاً خفيفاً دون السحق) حتى تنماع، ثم تأخذ عويداً من قسط مرّ، فتسهكه في ذلك الزيت، سهكاً، فتقبل به وتُدبر، ثم تقطره في منخره، وإن كان ذلك في الصيف في شدة الحرّ؛ فليكن ذلك مع شيء من لبن امرأة، فإنه بارد. قال لي قدامة: وتفسير الإعلاق: أن تُحدّ الحديدية، أو العود حتى يصير كحدّ السهم، ثم يُحدّ طرفه شديداً، ثم يدخل الحلق واللّهة حيث العُدرة، فيبَطّ به حتى يسيل الدم، والعُدرة شبيهة السلفاغ».

وقال أيضاً: «القسط، وهو القسط الهندي، بلغني أن رسول الله ﷺ قال: عليكم بالقسط فإن فيه سبعة أشفية: يُلدّ به من ذات الجنب، ويُلدّ به من وجع الفؤاد، ويُسعط من العُدرة، ويُسعط من الصداع، ويُتبخر به من الزكام، ونسيت اثنين» انتهى.

قلت: وبالنسبة لما ذكره من طريقة دق الحبة السوداء وهي داخل الزيت، فإنه يُثبت صحة ما نوصي به في العلاج بالحبة السوداء، من اتباع الأساليب التي نحافظ بها على الغاز الطيار الذي بداخلها، فلا نطحنها فيخرج هذا الغاز ويتبخر في الفضاء،

ولكن نأمر العليل أن يمضغ منها قدرًا يسيرًا جدًّا، فيخرج ذلك الغاز داخل فمه، فيتخلل الخيشوم والجيوب الأنفية، وأعلى الجهاز الهضمي، فيستفيد منه كثيرًا، ولكن مع الحذر من زيادة الكمية، وكذلك الحذر في بعض الأحيان من ابتلاع الحبة، فيكتفى بمضغها مدة خمس دقائق، إلى أن يمتلئ الفم باللعباب الذي يذاق فيه طعم حموضة الغاز الطيار ظاهرةً، ثم يُبصق ذلك كله، ويحذر من ابتلاع أدنى شيء منه. أو نطحها وندقها وهي مغمورة في العسل، أو مغمورة في الزيت، فتكون قوة الغاز وفعاليتها ممتزجة بالعسل أو الزيت.

هذا، وقد صار عندنا في عصرنا الحديث ما يساعدنا كثيرًا في الحفاظ على زيت الحبة السوداء والانتفاع بخواصه الطبية العجيبة، وهو الخلط الكهربائي، حيث صرنا نضع العسل في الخلط، ونضع عليه الحبة السوداء، فيتم طحن الحبة السوداء مع امتزاج غازها الطيار بالعسل، فتصير قوته كلها موجودة في المزيج، مع ملاحظة أن العملية تحتاج إلى خلط كهربائي ذي قوة عالية، لا تقل عن 1500 واط. ولنرجع إلى كلام عبد الملك بن حبيب، حيث قال في كتابه المذكور:

«ينفع الشونيز (أي الحبة السوداء) إذا قُلِّي (يعني في زيت) وشَمَّه العليل من زكام البَلَّة إذا كان من البرد، وينفع من ذلك أيضًا إذا استُعْط به، وإذا شُرِب قتل حب القرع في البطن، وإذا عُجِنَ بالعسل وشُرِب بماء حارٍّ، أذاب الحصة التي تكون في الكليتين والمثانة، ويدر الحيض والبول» انتهى.

وكلامه عن الحبة السوداء ليس مقصودًا في بحثنا هذا، ولكنه وصله بكلامه عن القسط، وقد رأيت أن أنقله للفائدة، خصوصًا وقد انفرد برواية طريقة للعلاج بالدواين معًا، القسط والحبة السوداء، وهذا مما جربناه ووجدناه قوي المفعول، بالرغم من أنه ذكر حديث جابر دون إسناد، وليس في روايات حديث جابر المعروفة العلاج بالقسط مع الحبة السوداء، وإنما في بعض رواياته العلاج بالقسط مع الورس «الذي هو الكركم أو الهرد»، وفي بعضها العلاج بالقسط مع الزيت، أو مع الماء،

والظاهر أن هذه الرواية التي ذكرها عبد الملك بن حبيب كانت شائعة في زمانه، فذكرها كما بلغته، والله أعلم.

وأما السيوطي، فقال في كتابه «المهمل السوي في الطب النبوي» ما نصه:

«أخرج البخاري ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن السني، وأبونعيم، عن أم قيس بنت محيص رضي الله عنها، قالت: دخلت على رسول الله ﷺ بابن لي، وقد أعلقت عليه من العذرة، فقال: علام تدغرن أولادكن بهذا العلق، عليكن بالعود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية، منها ذات الجنب، يسعط به من العذرة، ويلد به من ذات الجنب» قال أبو داود: يعني القسط» انتهى.

قلت: والعذرة، بضم العين وسكون الذال المعجمة، ومعناها باختصار: هو وجع الحلق، فيشمل ذلك كل ما يكون منه هذا الوجع، من التهاب الحلق أو اللهاة أو اللوزتين، وممن ذهب إلى ذلك موفق الدين البغدادي (ت 629هـ) في كتابه «الطب من الكتاب والسنة» حيث قال:

«العذرة: وجع الحلق، قيل: دم يهيج في حلق الإنسان، ويتأذى منه، اللحمتان اللتان يسميهما الأطباء: اللوزتين في أعلى الحلق على فم الحلقوم» انتهى.

وأما الإعلاق، فله ثلاث معان: أولها: هو المتقدم من كلام قدامة الذي نقله عبد الملك بن حبيب، والذي فيه استعمال أداة حادة في تشريط وجرح الالتهاب حتى يسيل منه الدم.

والمعنى الثاني هو قول بعضهم: إن معنى قول أم قيس: «وقد أعلقت عليه من العذرة»، أي عالجته مما به من وجع الحلق بالأمر المعتاد الذي نعالج به، والذي هو الدغر، وهو غمز الحلق بالإصبع، أي أنهم كانوا يعمدون إلى الحلق من الخارج فيطعنونه بالأصابع، أو يرفعونه ويكبسونه ويغمزون به بالأصابع، فربما كان هذا الطعن والغمز قويا، فيخرج من فم أو منخري الصبي قيح أو دم، فهذا الخارج يسمى

بالعلوق، فيزيلونه، ويقال لهذه الإزالة للمادة الخارجة: الإعلاق، فهذا معنى ذكره بعضهم.

والمعنى الثالث: هو قول بعضهم: إن الإعلاق هو نفس الدغر، أي هو رفع العذرة والورم الظاهر في الخارج باليد.

وأما السعوط فهو إدخال الدواء من الأنف، واللدود هو وضع الدواء تحت اللسان، أو داخل الفم بين الخد والأضراس.

وها هنا قضية لا بد من التنبيه لها، وهو وجود التداوي عند الأطباء بالدويبة التي تكون في الماء، وتسمى (العَلَق)، وسميت بذلك لأنها تعلق بالبدن وتمص الدم، ولها عند الأطباء العرب الكثير من الاستعمالات في الأمراض التي يُحتاج فيها إلى مص الدم في الموضع الوارم، فينبغي التنبيه إلى الفرق بين «الإعلاق» المنهي عنه في هذه الأحاديث الماضية، وبين التداوي بهذه الدودة، أو الحشرة المسماة بـ «العَلَق».

هذا، والتداوي بهذه الدويبة المسماة بـ «العَلَق» أظنه هو المقصود في حديث ابن أبي شيبه عن الشعبي عن النبي ﷺ مرسلاً، قال الشعبي: كان رسول الله ﷺ يقول: «خير الدواء اللدود، والسعوط، والمشي، والحجامة، والعَلَق».

ونرجع إلى كتاب الحافظ السيوطي، حيث قال في موضع آخر من كتابه المذكور:

«العذرة: وهي وجع يهيج في حلق الصبيان من الدم، أخرج ابن السني وأبو نعيم والحاكم وصححه عن جابر رضي الله عنه، أن امرأة جاءت بصبي لها إلى النبي ﷺ فقالت: أفقا منه العذرة؟ فقال: «لا تحرقن حلق أولادكن، خذي قطعاً هندية، وورساً، فاسعطيه إياه».

وأخرج ابن أبي شيبه، والحاكم وصححه، عن جابر رضي الله عنه، قال: دخل النبي ﷺ على أم سلمة، وعندها صبي يسيل منخراه دمًا، فقال: «ما هذا؟ قالوا: به

العُدرة، فقال: علام تعذبين أولادكن، إنما يكفي إحداكن أن تأخذ قسطاً هندياً، فتحكه بماء سبع مرات، ثم تؤجره إياه، قال: ففعلوا فبراً».

وأخرج أبو نعيم، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ رأى صبيّاً قد أُغلق عليه، فقال: «علام تقتلون أولادكن بهذا العلاق، عليكم بالقسط الهندي، بماء، ثم سعط».

وأخرج ابن السني، وأبو نعيم، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير ما تداويتم به الحجامه، ولا تعذبوا أولادكم بالغمز من العذرة».

أقول: لو أن الإمام السيوطي ذكر رواية البخاري ومسلم لهذا الحديث لكان أفضل، فعندهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خير ما تداويتم به الحجامه، والقسط البحري، لا تعذبوا صبيانكم بالغمز».

ثم قال السيوطي:

«وأخرج أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه، قال: دخلت امرأة بابن لها على أزواج النبي ﷺ، تعالجه من العذرة، فأدمن الصبي، فدخل رسول الله ﷺ، فلما رأى الصبي سال فوه دمًا، قال: «ويلكن، لا تقتلن أولادكن، ثلاثاً، ثم قال: إذا عالجتُم مثل هذا أو شبهه، فلتأخذ كستًا بحريًا، ثم تعمد إلى حجر فلتسحقه عليه، ثم لتقطر عليه قطرات من زيت وماء، ثم لتعالجه امرأة نجيح العمل، ثم لتجرعه إياه، فإن فيه شفاء من كل داء إلا السام».

وأخرج أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خير ما تداوى به الناس الحجامه والقسط البحري، ولا تعذبوا أولادكم بالغمز، عليكم بالقسط البحري» انتهى كلام السيوطي.

أقول: لم يذكر السيوطي رواية أحمد وأصحاب السنن لحديث جابر، وفيه عبارة مهمة جدًا متعلقة بوجع الرأس، ولفظه: عن جابر رضي الله عنه عن النبي

قال: «أيما امرأة أصاب ولدها عذرة، أو وجع في رأسه، فلتأخذ قسطاً هندياً، فتحكه بماء، ثم تسعطه إياه».

وروى الإمام أحمد هذا الحديث في المسند من طريق أبي معاوية، وطريق ابن أبي غنية، وجمع بين ألفاظهما المختلفة في المتن، وهو عن جابر رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة. قال ابن أبي غنية: دخل على عائشة بصبي يسيل منخراه دمًا. قال أبو معاوية في حديثه: وعندها صبي يثعب منخراه دمًا، فقال ﷺ: ما لهذا؟ فقالوا: به العذرة، فقال: علام تعذبن أولادكن، إنما يكفي إحداكن أن تأخذ قسطاً هندياً، فتحكه بماء سبع مرات، ثم توجره إياه. قال ابن أبي غنية: ثم تسعطه إياه. ففعلوا فبراً».

ومعنى قوله ﷺ تحكه بالماء، يعني إذابة القسط في الماء، وهذا يكون بطرق مختلفة، وأسهلها وأسرعها وضع القسط الهندي المطحون في الماء، سواء الماء البارد أو الحار، وقد جربنا النوعين، وأظن بأن إذابته في الماء المغلي، وهو الذي يسمى عند الأطباء بالنقيع، أعظم نفعاً وتأثيراً، إلا أننا بحاجة إلى فحص مخبري يقوم به متخصصون، حتى نعرف الفرق في قوة التأثير بين إذابته في الماء العادي وإذابته في الماء المغلي، مثلما أننا بحاجة إلى معرفة الفرق في ذلك بين القسط الهندي الأشهب اللون والمير الطعم، والقسط البحري الأبيض اللون والحلو الطعم، حيث ذكر النبي ﷺ التداوي بالنوعين.

وإذابة القسط المطحون في الماء عرفناه من حديث الطبراني في «الأوسط»، والنسائي في «السنن الكبرى» وأبي يعلى في «مسنده» عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ رأى صبياً قد غلق عليه، فقال: علام تعلقون بصبيانكم، عليكم بالقسط، يذاب بالماء، ثم يسعط».

هذا، وقد فتح النبي ﷺ لأمته باب البحث والتقصي في معرفة أسرار العلاج بالقسط وأمثاله، وهذا من فروع بلاغته المحمدية التي ينفرد بها، بآبائنا هو وأمهاتنا،

والله أعلم ، وفتح باب البحث للوصول إلى ذلك نراه في تقصُّده التعبير بالألفاظ التي تحتل معاني عدة.

والمثال الواضح على ذلك تعبيره عليه السلام بعبارة «سبعة أشفية» وبيانه اثنين منها فقط، في قوله في حديث الصحيحين المتقدم: «عليكن بالعود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية، منها ذات الجنب، يسعط به من العذرة، ويلد به من ذات الجنب»، فجعل الأمور الخمسة المتبقية محل بحث الناس، ليجتهدوا في الوصول إليها، وفي ذلك حِكْمٌ عظيمة لا تخفى.

ومثاله أيضًا تعبيره بكلمة «السَّنوت» في قوله: «عليكم بالسَّنَا والسَّنُوت»، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام»، فاختلف الناس في المراد بالسَّنُوت، ما هو؟ فقيل: هو العسل، وقيل: ضربٌ من التمر، وقيل: الكمّون، وقيل: الرازيانج الذي هو الشَّمر، وقيل: عكَّة السمن، أي أنه هو السمن الذي يكون جامدًا أسفل العكة، ولا يخرج إلا بعصرها، وقيل: الشَّبْت، بالتاء المثناة، وينطق بالتاء المثناة أيضًا: الشَّبْت، وقيل: هو نبات يشبه الكمون يسمى السَّنُوت.

وقد جربنا في المعالجة بالسنا إقرانه بهذه العقاقير والأعشاب المختلفة، وذلك لكي نطرق جميع المعاني المحتملة لكلمة «السنوات»، فوجدنا لكل منها خاصية ونفعًا في علاج مرض معيّن من الأمراض.

وتقصُّده عليه السلام التعبير بكلمة «السنوات» التي تحتل المعاني المختلفة، صريحٌ في حديث النسائي في «السنن الكبرى» (7732) بإسناده عن محمد بن عمار، عن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله عليه السلام: «ثلاث فمهن شفاء من كل داء، إلا السام: السنا، والسنوات» قال محمد: ونسيت الثالثة، قال -أي أنس-: «قالوا: يا رسول الله، هذا السنا قد عرفناه، فما السنوات؟ قال: لو شاء الله لعرفكموه».

وكذلك الشأن في تعبيره عليه السلام بعبارة «ذات الجنب» في الحديث المتقدم، وقد جاء فيه حديثان آخران أوردهما السيوطي:

أولهما: ما أخرجه الترمذي، والحاكم وصحاحه، وابن السني، وأبو نعيم، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: أمرنا رسول الله عليه السلام أن نتداوى من ذات الجنب، بالقسط البحري، والزيت.

وثانيهما: ما أخرجه أبو نعيم والحاكم عنه رضي الله عنه -أي زيد بن أرقم- أنه قال: نعت لنا رسول الله عليه السلام من ذات الجنب ورثًا، وقسطًا يلد به».

فالمعنى الذي يتبادر إلى الذهن من تعبيره عليه السلام بعبارة «ذات الجنب» أنه وجع الخاصرة، ولكن ما نعرفه من سعة المعاني التي يحتملها أحيانًا حديث النبي عليه السلام، ويطرقها التعبير النبوي المعجز ببلاغته، إعجازًا قريبًا من إعجاز بلاغة القرآن، يجعلنا نتوقف عن الاختصار على المعنى الواحد.

فتعبيره عليه السلام بذات الجنب يشمل فيما رأيناه بالتجربة كل مرض يحصل منه ألم في الجنب، فيشمل ذلك أمراض الرئة، فيجد المريض المصاب في إحدى رئتيه ألمًا في ذلك الجنب دون الآخر، ويشمل أيضًا ألم الكلية، ويشمل ألم الطحال، ويشمل آلام عضلات وعظام القفص الصدري، فكل ما يوجد عنه ألم في أحد جانبي البدن، سواء كان مصدره أحد الأعضاء الباطنة، أو الأعضاء الظاهرة؛ يمكن أن يعبر عنه بعبارة: ذات الجنب.

بل إنني أقول عن تجربة ومشاهدة بأنه يشمل القولنج، الذي نسميه في عصرنا بالقولون العصبي، وقد أكرمني الله تعالى بالشفاء من هذا المرض بعد أن عانيت منه قرابة الأربع سنوات من عمري، وذلك باستعمال القسط الهندي لدودًا، وليس سفوفًا، حيث استعملته سفوفًا، وكذلك شربًا محلولًا في الماء، فلم يؤثر في زوال العلة شيئًا.

فلما استعملته لدودًا، بوضع مقدار ربع الملعقة الصغيرة منه داخل الفم، بين الخد والأضراس، ثم البدء في ابتلاع الريق بشكل سريع متواصل، إلى أن ينتهي وجود القسط، خلال دقائق معدودة، ثم الإمساك عن الطعام والشراب مدة خمس دقائق، فعلت ذلك مرتين في اليوم، فزالت العلة في ذلك اليوم الواحد، ولكني استمررت في هذا اللدود مدة أسبوع لترسيخ مفعول القسط.

وقد عالجت هذا المرض بهذه الطريقة في جماعة وافرة من الناس، وحصل شفاؤهم التام منه بحمد الله تعالى، ولا زلت أصفها وأذكرها لكل من أتاني يشتهي مرض القولون العصبي.

وكذلك جربنا الزيت المطبوخ فيه القسط الهندي مروحًا ودهانًا لعضلات القفص الصدري وعظامه من الخارج، فوجدنا أثره العجيب في إزالة الألم.

وصنع «دهن القسط الهندي» يكون بوضع القسط الهندي المطحون، في قدر، ثم يُصَبُّ عليه من زيت الزيتون ما يغمره، ويقاس مستوى ارتفاع الزيت في القدر بعود أو مسطرة معدنية، ويُصَبُّ عليه من الماء ضعفي أو ثلاثة أضعاف كمية الزيت، ثم يوضع على نار خفيفة، إلى أن يصل إلى درجة الغليان بتلك النار الخفيفة، ويترك عليها إلى أن يتبخر جميع الماء، خلال ساعتين أو أكثر، بحسب الكمية، ويبقى الزيت، ويعرف ذلك بقياس ارتفاع المحلول بالمسطرة، فعندما يعود إلى المستوى الأول الذي كان عليه الزيت، يكون الزيت وحده قد بقي، فينزل عن النار، ويترك إلى أن يبرد، ويستحسن أن توضع عليه كمية أخرى قليلة من القسط الهندي، ويحرك جيدًا، ثم يُترك إلى اليوم التالي، حيث يصفى ويعبأ في قوارير.

وفي الحالات المستعجلة، يمكن صناعته بوضع القسط الهندي المطحون في الزيت المسخن، ثم يحرك جيدًا، ويترك إلى أن يبرد، ثم يستعمل مباشرة، إلا أن الطريقة الأولى يكون القسط فيها أشد تركيزًا.

الفصل الثاني فيما ذكره الأطباء القدامى

في خواص القسط والتداوي به

1/ ابن سينا في كتاب «القانون»

بعد كلام طويل عن ماهيته وأنواعه ووصف كل منها، وما يختار منها قال:

«الطبع: حار في الثالثة، يابس في الثانية»

الخواص: فيه كيفية مرّة جدًّا، حرّيفة، وحرارة، حتى أنه يقرّح، (يقصد ما نعبّر عنه في عصرنا بالمادة الكاوية) وهو نافع لكل عضو يحتاج أن يُسخّن ويجتذب منه الخلط من عمقه.

الزينة: 1. يجلو الكلف من الجلد لطوًّا بماء وعسل.

الجراح والقروح: فيه تقريح، 2. والمرّ منه يجفّف القروح الرطبة.

آلات المفاصل: 3. نافع من استرخاء العضل والعصب، 4. وفسخ العضل

(لعله يقصد ما نسميه بالتمزق العضلي)، 5. جيد من عرق النسا ضمادًا.

أعضاء الرأس: 6. ينفع من ليثرغس (وقد تكلم عليه ابن سينا في «القانون»

ضمن كلامه عن أورام الرأس، وقال بأنه ورم بلغمي يكون داخل القحف، وأن معنى

ليثرغس هو النسيان، لأن أظهر أعراضه هو النسيان)

أعضاء الصدر: 7. ينفع من أوجاع الصدر

أعضاء النفس: 8. يدر الطمث شربًا وتبخيرًا في قمع، 9. ويقتل الجنين، 10.

ويدر البول، 11. ويخرج حب القرع والديدان، (يقصد بحب القرع الديدان

المعتضة، وهي التي يراها الأطباء بالعين المجردة في القنوات الصفراوية بالكبد،

وشكلها الخارجي يشبه حب القرع إلى حد كبير، وحجمها حوالي 3 سم × 1 سم، أفدت

هذا من بحث الدكتور أحمد العزب في القسط الهندي، وقد أشار إلى أنه نقله من

كتاب «علم الطفيليات الطبي الأساسي» للأستاذ الدكتور مصطفى عبده شتات،

رئيس قسم الطفيليات بكلية الطب جامعة الأزهر، وذكر أن الديدان منها الطويل

والمستدير والمعترض) 12. ويقوي على الباه، وإنما يقوي على الباه لرتوبة فضلية نافخة فيه، 13. وهو حمول لوجع الرحم (يقصد يستعمل تحميلة)، فإنه ينفع من وجع الرحم البارد، شرباً وجلوساً في طبيخه، 14. ويحرك الطبيعة إذا شرب بشراب الحميات: 15. ينفع من النافض لطوخاً بالزيت. السموم: 16. ينفع من النهوش كلها، نهشة الأفعى وغيرها، إذا شرب بشراب وأفسنتين». انتهى.

2/ الرازي في كتاب «الحاوي»

قال: «ديسقوريدس يقول: 1. قوته مسخنة، 2. مدرة للبول، 3. تلذع اللسان وتجذبه، 4. وتدر الطمث، 5. نافع من وجع الأرحام، متى ما عمل منه فرزجة، أو جلس في طبيخه، 6. وإذا شرب نفع من نهش الأفعى، 7. ويحرك شهوة الجماع متى شرب بخمر وعسل، 8. ويخرج حب القرع (تقدم أنها الديدان المعترضة) متى شرب بالماء، 9. ويعمل منه لطوخ بالزيت للنافض قبل آخرها (أظن أن النافض هو الرعشة)، وللفالج الذي معه استرخاء، 10. وينقي الكلف، متى لُطخ عليه بماء وعسل.

وقال جالينوس: في القسط كيفية مرة كثيرة جداً، وكيفية حريفة وحرارة كثيرة جداً، وكيفية مجففة، وبقارته يقرح، 11. ولذلك يدلّك به الجسم من النافض بأدوار قبل وقت النوبة، 12. ويستعمل في أبدان المفلوجين وأصحاب ليثرغس (تقدم تفسير معناه)، وبالجملة متى احتيج إلى إسخان عضو ما، ويجتذب من عمق البدن إلى ظاهره خلطاً ما، 13. ولذلك صار القسط يدر البول، 14. والطمث، 15. وينفع من الهتك والفسخ الحادث في العضل ووجع الجنبين، 14. ولمراته يقلل حب القرع (تقدم أنه الديدان المعترضة)، 15. ويبرئ الكلف متى طُلي

عليه بالماء والعسل، وفي مزاج القسط . مع ما وصفنا . رطوبة نافخة ؛ 16. من أجلها يعين على الجماع متى شُرب بالشراب (يقصد الخمر).

وقال أريباسيوس: 17. إنه يقتل الحيات، 18. ويجلو الكلف إذا طُلي عليه بماء وعسل، 19. ويحرك الباه متى أخذ مع عسل.

وقال بولس: الكيفية المرة في القسط قليلة بالإضافة إلى الكيفية الحارة والحريفة، ولذلك يستعمل في إسخان الأعضاء، والجذب من عمق الجسم إلى ظاهره، ويدر البول والطمث، 20. ويقتل الدود، 21. ويحرك الباه لنفخة فيه، 22. ويصلح للفالج، 23. وعرق النساء، 24. وللبرد، بأدوار إذا ذُلك به الجسد مع دهن.

وقال مسيح: 25. القسط متى ذرّ على القروح الرطبة جفّها.

وقال القلهمان: 26. دهن القسط جيد لاسترخاء العصب، 27. ولعرق النساء، 28. ومتى دُخن في قمع بالقسط ؛ أسقط الولد، 29. وأدرّ دم الحيض» انتهى كلام الرازي.

3/ ابن الجزار في «الاعتماد في الأدوية المفردة»

قال: «القول في القسط، وهو ضربان، أحدهما الذي يقال له البحري، والآخر الهندي، والهندي منه غليظ أسود، خفيف، مرّ المذاق، حرّ (كذا في المطبوع)، وهو حارّ في الدرجة الثالثة، والبحري القسط الأبيض، وهو من بلاد العرب، وأجوده ما كان حديثاً أبيض، ممتلئاً كثيفاً يابساً، لا متأكلاً ولا زهماً، يلذع اللسان ويُخدره، وفي طعمه بعض المرارة، يدلّ على حرارة وحدّة في أول الدرجة الثالثة، وهو ألين وألطف وأقلّ حرّاً، وأجود في الطب من الهندي، وهو 1. مدرّ للبول والطمث، 2. نافع من أوجاع الرّجَم، إذا استعمل في الفرزجات والتكميد والتنطيل، 3. وإذا دُخنت به المرأة أنزل الحيضة، 4. وهو نافع للكبد، 5. والطحال، 6. والرّجَم، لما ينقي منها، 7. ويحلّل الأورام والسدد التي فيها، 8. وينفع من وجع الكزاز، 9. ووجع الجنبين، 10. ويقتل حبّ القرع (أي الديدان المعترضة) لما فيه من المرارة، 11. وينفع من الكلف (يقصد

مرضاً جلدياً معروفاً)، وينقيّه ويقلعه إذا عُجن بماء أو بعسل، 12. وإذا شُرب نفع من لدغ الأفاعي، 13. وإذا شُرب بخمرٍ وعسل حرّك شهوة الجماع، (قلت وهذا ينقله ابن الجزار عن أطباء اليونان الذين لم يكن عندهم الخمر محرم التداوي به) وزعم ديسقوريدس 14. أنه إذا شُرب بخمرٍ وأفسنتين، نفع من أوجاع الصدر، 15. وشُدخ العضل، 16. والنفخ، 17. وإذا سُحِق وأُغلي مع دهن السمسم أو الزيت، وذُلك به البدن قبل دور الحصى، نفع لمن به عرق النسا، 18. ولن به فالج باسترخاء، 19. ولأصحاب الارتعاش، 20. واسترخاء العصب، لأنه يجلب من داخل البدن المواد، 21. وإن سُحِق، وذُرَّ على القروح الرطبة منها جفّفها بإذن الله». انتهى .

4. السلماني الغساني المعروف بالوزير في «حديقة الأزهار»

قال: «القسط: نافع من أورام الأرحام، مدر للبول والطمث، نافع من لدغ الأفاعي، وإذا شُرب بأفسنتين نفع من أوجاع الصدر، وشُدخ العضل، والنفخ، محرّك لشهوة الجماع، وإذا شُرب بماء أخرج الدود وحبّ القرع، مجفف للقروح الرطبة، وإذا مُزج بماءٍ وعسل، ولُطِخ به الجلد؛ جلا الكلف من الجلد وجميع الجسد، نافع من استرخاء العصب، نافع من النافض لطوخاً بالزيت، نافع من نهش الهوام كالعقارب والأفاعي إذا سُقي بأفسنتين، نافع لكل عضو يحتاج إلى التسخين وجذب الأخلاط منه مع عرق البدن».

5/ ابن النفيس في كتاب «الشامل في الأدوية المفردة»

قال: «إن القسط أصل نبات، وهو من جملة الأصول الغليظة، وأصنافه كثيرة، المشهور منها أربعة..».

ثم تكلم ابن النفيس عن التركيب الداخلي للقسط، أي عن نسبة ما فيه من المائية والأرضية والنارية، وتأثير هذه النسب في طعمه ورائحته وخواصه، إلى أن قال: «وجوهر القسط غير صالح للتغذية، وذلك لأجل حرارته وحرافته، ولطافة أريضته، فلذلك هو من الأدوية الصرفة»، ثم قال: «الفصل الثاني في طبيعة القسط

وأفعاله على الإطلاق»، «إن جوهر القسط لما كانت فيه نارية وأرضية محترقة مُرّة، وكانت مائيته يسيرة كما بيّناه، فلا بُدَّ وأن يكون مزاجه حارًّا، وما كان منه شديد المرارة، فلا شك أن مرارته تكون أشد، فلذلك كان القسط الهندي أشدَّ حرارةً من القسط الحلو، ولا بُدَّ وأن يكون مع حرارته يابسًا، وذلك لأجل قِلّة مائيته وزيادة الأرضية، مع أنه لا يخلو من نارية، وهي لا محالة: يابسة، فلذلك كان القسط حارًّا يابسًا.

ولما كان جوهر القسط فيه حرافة ومرارة، فهو لا محالة: محلّل، ملطّف، ولأجل يبوسته وزيادة أرضيته. مع أنه محلّل. هو لا محالة مجفّف، ويلزم ذلك أن لا يكون مُليّنًا تليينًا يُعتدّ به، لأن التليين إنما يتحقق بالرطوبة السهلة الانفصال، وذلك بأن تذيب الحرارة المعتدلة قدرًا من المائية المنعقدة، فيحدث بذلك اللين، وذلك إنما يكون إذا بقيت تلك المائية التي تذوب سائلة، فلذلك إذا كانت الحرارة شديدة، حتى لم تقتصر على إذابة تلك المائية، بل قويت على تحليلها، فربّما صار الجسم بذلك أقل لينًا مما كان أولًا، وكذلك إذا حدث لتلك المائية سببٌ يجفّفها، فلذلك كان التجفيف الشديد والحرارة القوية كلاهما مانعين من التليين، فكيف إذا اجتمعا؟ فلذلك يجب أن يكون القسط غير مُليّن تليينًا يُعتدّ به، ولا بدَّ وأن يكون منقّيًا، لأنه مع تجفيفه قوي الجلاء، لأجل قوة مرارته، ولا بدَّ وأن يكون منضجًا، خاصة المواد الغليظة واللزجة، وذلك لأجل ما في قوته من التلطيف والتقطيع، ولا بد وأن يكون جاذبًا، وذلك لأجل قوة حرارته، ولا بدَّ وأن يكون محلّلًا للرياح، وذلك لأجل تحليله مع تلطيفه، ولا بُدَّ وأن يكون مفتّحًا، لأجل جلائه وتحليله، ولا بدَّ وأن يكون تفتيحه قويًا لأجل لطافة جوهره وتلطيفه للمادة السادة، وقوة نفوذه، فلذلك لا بُدَّ وأن يكون مُدِرًّا للبول.

ولأجل أنه يرقق الدم ويحركه بحرارته، هو أيضاً مدرّ للحيض، ولأجل قوة جلّائه وقوة نفوذه وإدراره، هو يُفتت الحصاة ويخرجها، ولأجل مرارته وجدّته، هو يقتل الدود والأجنة.

ولما كان القسط مع أنه جاذب، هو قوي الحرارة، فهو لذلك يحرق ما يحدثه من الرطوبات، فلذلك هو من الأدوية المقرّحة، ولأجل جذبته وتفتيحه هو ينبت الشعر في داء الثعلب وداء الحية». انتهى

6/ العزفي في «مختصره لكتاب الجامع لابن البيطار»

وهذا الكتاب نشر قطعة منه الدكتور محمد العربي الخطابي، في كتابه «الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي».

قال العزفي: «القسط ينفع من الأوجاع العارضة من البرد والرطوبة والصداع، والشقيقة الحادثة من السوءاء والبلغم، إذا غُليَ وصُبَّ ماؤه على الرأس، وشُمَّ ورقه، التجربتان (يشير إلى نقله عن كتاب «التجربتان على أدوية ابن وافد» تأليف ابن باجة وسفيان الأندلسي) ملائم لأهل الزكمة، مذهب للبلغم، قاطع للصداع البارد».

الفصل الثالث في ذكر عناوين بعض البحوث والدارسات العصرية التي

كتبت حول القسط الهندي

هناك الكثير من البحوث والدارسات الأكاديمية والمخبرية المتعلقة بالقسط الهندي والمعالجة به، مثلما أن هناك بحوثاً ومقالات في جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بهذا النبات والمعالجة به، مثل البحث الذي كتبه الدكتورة وفاء بنت عبد العزيز الزامل، وهو بعنوان: «علاج مرض العُدرة بالقسط الهندي، دراسة حديثة موضوعية»، والمنشور في العدد رقم 43 بتاريخ نيسان 2019 من مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل.

وأما البحوث والدراسات العلمية التي كُتبت في القسط الهندي فهي كثيرة، ولكن من أدّقها من الجهة العلمية -حسب نظري- هو الأطروحة الجامعية التي قامت بها الطالبتان: عفاف حلاب، وراضية بلعاب، لنيل درجة الماجستير من «جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، بالجزائر» كلية علوم الطبيعة، وهي بعنوان: «القيمة العلمية والطبية لنبات القسط الهندي».

وكذلك البحث الذي قامت به الدكتورة منال عثمان القطان، الأستاذة المساعدة في علم الأحياء الدقيقة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وهو بعنوان: «تأثير القسط الهندي على الفطر والخميرة التي تصيب الجهاز التنفسي» مع اختصارٍ اسمي الفطر والخميرة المكتوبين بالإنجليزية، وقد قامت الدكتورة منال القطان بنفس البحث بالاشتراك مع الدكتورة هدى محمد شيخ.

ومن البحوث الجيدة أيضاً البحث الذي كتبه الدكتور الطبيب أحمد وصفي العزب، من جامعة الأزهر، وهو بعنوان: «الإعجاز الطبي للسنة النبوية -القسط الهندي».

ومن البحوث الجيدة أيضاً الكتاب الذي كتبه الأستاذ طارق عبده إسماعيل، الباحث بمركز أبحاث الطب النبوي بالمدينة المنورة، بعنوان «القسط الهندي جوهر من الطب النبوي»، وقد جمع فيه الكثير مما كتبه عامة الناس على الشبكة، والذي يذكرون فيه تجاربهم في العلاج بالقسط الهندي، وما رأوه من نتائج المذهلة في الأمراض المختلف.

الفصل الرابع

في ذكر طرق علاج التهاب اللوزتين في الطب القديم للمقارنة بينها وبين ما

تقدم من طريقة علاجه في الطب النبوي بالقسط الهندي

علاج التهاب الحلق، والتهاب اللوزتين، كتب فيه غالب الأطباء القدماء،
 وكالعادة ؛ فإن في علاجاتهم ما هو متشابه، وفيها ما ينفرد به بعضهم عن بعض،
 بحسب مجرباتهم، وسوف أختار نقل ما كتبه ابن سينا في «القانون» وما كتبه داود
 الأنطاكي في كتابه «الزهره المبهجة» والذي يعدّ مكملاً لكتابه «تذكرة أولي الألباب» .

1/ ابن سينا في «القانون»

كتب ابن سينا مقالة طويلة في أحوال الحلق، وما يعرض له من الأمراض،
 ونحن ننقل هنا مختصراً لما كتبه في علاج «الخوانيق» التي من أنواعها «التهاب
 اللوزتين».

قال ابن سينا: «فصل، في كلام كلي في معالجات الأورام العارضة في نواحي
 الحلق، والحنجرة، والغدد التي تطيف بها، واللهة، والغلصمة، واللوزتين: يجب أن
 يستفرغ أول كل شيء من المادة الفاعلة لذلك، بالفصد، والإسهال، وأن يجذب المادة
 إلى الجهة المخالفة، ولو بالمحاجم، توضع على المواضع البعيدة المقابلة لها، وربط
 الأطراف ربطاً مؤلماً، وأن يبتدئ بالأدوية القابضة، ممزوجة بما له قليل جلاء،
 كالعسل، وأفضلها قشور الجوز، ثم برّ التوت.

واعلم أن المبادرة إلى التفرغر بالخل عندما يبتدئ ورم اللهة، أو خناق، مما
 يمنع ويردع ويجلب رطوبة كثيرة، ويكون معه امتناع ما كاد يحدث، ومن هذه الأدوية
 مثل الشب، والعفص، والجلّنار، والرمانيين المطبوخين إلى التهري، يتخذ منهما لعوق.
 ومما ينفع من ذلك حلق اليافوخ، ثم طلاؤه بعصارة أفاقيا، هذا في الأول، ثم
 يتدرّج إلى المنضجات، ثم إلى المفتحات القويّة، حتى إلى درجة النوشادر، والعاقر
 قرحا وما نذكره.

ومما ينفع في ذلك التعطيس بمثل الكندس، والقسط، وورق الدفلى، والمرزنجوش.

ومن الأشياء المجربة التي تفعل بخاصيتها في أورام الخوانيق، واللهاة، واللوزتين، وبالجملة أعضاء الحلق نفعًا عظيمًا، أن يؤخذ خيوط، وخصوصًا مصبوغة بالأرجوان البحري، فيخنق بها أفعى، ثم يطوق عنق من به هذه الأورام، فإن ذلك ينفعه نفعًا بليغًا عظيمًا عجيبًا مجاوزًا للقدر المتوقع.

واللبن من الأدوية الشريفة، والانتهاه بما يردع ويلين ويسكن الأوجاع، ويجب أن يتأمل في استعمال ما يقبض، أو يحلل، أو ينضج، وينظر إلى حال البدن في لينة وصلابته، فتقوى القوى في الصلبة، وتلين في اللينة، وكذلك يراعى السن، والمزاج، والزمان، والعادة، وقد يخصّ أورام اللهاة واللوزتين واسترخائهما القطع، ويفرد له بابًا (كذا).

ومن وجوه العلاج الغمز على الموضع، ومواضعه ثلاثة: أحدها عندما يزول الفقر، والثاني في أورام اللهاة واللوزتين المحوجة إلى إشالتها عن سقوطها إلى فوق، والثالث في الأورام البلغمية إذا ضيّقت المنفذين، فاستعن بالغمز على تنقيتها وتلطيفها».

ثم قال بعد كلام طويل: «وأما الأدوية في الابتداء، فالقوابض، وخصوصا للدموي، وأفضل القوابض ما له مع قبضه جوهر لطيف يغوص به، ومن الأشياء التي أخرجتها التجربة أن القوابض المخلوطة المركبة أنفع من المفردة البسيطة، وربما اشتد الوجع في أول الامر فاحتيج إلى أن يخلط بالقوابض ما يسكن الوجع ويلين، مثل شراب البنفسج والفانيذ واللبن الحار ولعاب بزر الكتان والمبيختج، وربما كثر الانصباب فلم يكن بد من المحللة يخلط بها، أو ربما لم تكن المادة كثيرة في الانصباب، ويكون الورم ليس قويا؛ فيبتدأ ويستعمل العفص والنوشادر فإنه يمنع بقوة ويحلل بقوة، وأما الصفراوي فيجب أن يكون أكثر القصد مصروفا فيه إلى

التبريد مع القبض، وقد يستعمل فيه لطوخت، وقد يستعمل فيه وفي كل حار
 غرغرات، ويستعمل نفوخت بمنفاخ، ونثورات، فمن ذلك التغرغر بالسكنجبين
 والماء، والخل والماء، فإنه عظيم المنفعة في أول الحار والبارد، وبرب التوت، وخاصة
 البري، ثم الذي ليس فيه سكر أو عسل، ويستعمل في الابتداء صرفا، ومقوى
 بقوابض من جنس عصارة السماق والحصرم مجففين وكما هما، والجلنار، وانما
 يجعل في مثله العسل لينقي لا ليقوي، وكذلك طبخ القسب بالعسل، أو طبخ
 السماق، وبعقيد العنب، وأقوى من ذلك عصارة الجوز الرطب، وهي من أفضل
 أدوية هذا الورم، وعصارة الورد الطري، ورب الخشخاش إذا خلط بالقوابض كان
 شديد النفع في الابتداء، وأقوى من ذلك طبخ الآس والبلوط والسماق وماء الكزبرة،
 والسماق وماء قشور الجوز وماء الآس، وماء طبخ فيه العدس جدا، أو السفرجل
 القابض جدا، وللزعرور خاصية، والشب اليماني أيضا له خاصية في ذلك، وأيضا
 ينفخ في الحلق نفوخوا من بزر الورد والسماق والجلنار أجزاء سواء والكافور شئ
 قليل . وللصفراوي عصارات البقول الباردة مخلوطة بما له قبض ما، وعصارة عصا
 الراعي، وعصارة عنب الثعلب، وعصارة قضبان الكرم، ومن المشتركات بينهما في
 الابتداء: بزر الورد، وبزر البقلة، ولعاب بزر قطونا، ونشاء، وطباشير، وسماق،
 وكثيرا، وكافور، يتخذ منه حب مفرطح، ويؤخذ تحت اللسان، وإذا انقطع التحلب
 فيجب أن يخلط برب التوت المر والزعفران، فإن المر غواص بقوة قبضه وتحليله،
 ويغوص الزعفران، فيجتمعان على الإنضاج. وإن رأيته يميل إلى الصلابة، خلطت
 بالتوت شيئا من البورق، وإذا قارب المنتهى أو حصل فيه فيجب أن يستعمل أيضا
 ما فيه تسكين وتلين، كاللبن الحليب مدافا فيه فلوس الخيار شنبر، والزفت في رب
 التوت، أو طبخ التين والحلبة، أو رب الآس مع المبيختج، أو عصير الكرنب بعسل،
 أو مبيختج، أو المقل العربي محلولا برب العنب فإنه نافع جدا، أو ماء الأصول
 مطبوخا فيه زبيب أو حلبة وتمر وتين، والمر والزعفران والدارصيني غرغرة

بالسكنجبين أو ماء العسل. وتستعمل الأضمدة أيضا للإنضاج، مثل ضماد الساهر، وتقطير دهن اللوز في الأذن نافع في هذا الوقت. وإذا رأيت لا ينضج ورأيت صلابة؛ وجب أن يستعمل في أدويته الكبريت، وإذا كان قد نضج فاجتهد في تفجير الورم بالغراغر التي تجمع إلى التليين التفجير، كبعض الأدوية الحادة في اللبن يغرغر به، وإن كان ظاهرا وتطاول ولا ينفجر فلا بأس باستعمال الحديد.

ومن الأدوية المعتدلة مع المبادرة إلى التفجير: طبخ التين بالحلبة والتمر، وطبخ العدس بالورد، ورب السوسن، وبزر المر، وبعد ذلك يتدرج إلى ما هو أقوى، فيخلط برب التوت بَورق وكثيرا، وأيضا بزر مر ومدافا في لبن ماعز، والأدهان المسخنة، وخصوصا مع عسل وسكّ، ويتغرغر بمثل ماء العسل طبخ فيه تين وفودنج ومرزنجوش وشبت ونعناع وأصل السوسن ونمام، مجموعة ومفرقة، وللقسط وخصوصا البحري منفعة عظيمة في مثل هذا الوقت.

وفي حقيقة الانتهاء تقصد الجلاء التام والتفجير بمثل النطرون والبورق والحلتيت والمر والفلفل والجندبيدستر وذرق الخطاطيف وخرء الديك يغرغر به مع رب التوت، بل بالنوشادر والعافر قرحا وبزر الحرمل والخردل وبزر الفجل بالماء والسكنجبين، يستعمل هذه نفوخات، ونفخ النوشادر مريح، وإذا انحطت العلة استعملت الشراب والحمام والتنطيل.

صفة حب نافع في الانتهاء: أصل السوسن أربعة أجزاء حلتيت نصف جزء يجمع بعصارة الكرنب أو عقيد العنب.

وأما علاج البلغمي في ذلك: أن يدخل في الحلق قضيب مغموز معوج ملفوف عليه خرق يطلّى به الورم، وتنقى به الرطوبة.

وللعتيق منه: حلتيت بدارصيني أو يسهل بالقوقايا والأيارج ونحوه ويحقن بالحقن الحادة القوية جدا وأما علاج السوداوي، فأنفع الأدوية له دواء الحرمل غرغرة ولطوخا من داخل وخارج.

وأما الأدوية التي لها خاصية وموافقة في كل وقت فخرء الكلب الأبيض، والذئب الأبيض، يجوع الكلب ويطعم العظام وحدها، حتى يبقى خراؤه أبيض، يكون قليل النتن، وكذلك زبل الانسان وخصوصا الصبي، ويجب أن يجهد حتى يكون ما يغتدى به بقدر ما ينهضم، وأفضله له الخبز والترمس بقدر قليل، ويسقى عليه شرابا عتيقا، ثم يؤخذ رجعه ويجفف فإنه أقل نتنا، فإن اشتهى مع الخبز شيئا آخر فالأغذية الجيدة الهضم الحسنة الكيموس الحارة المزاج باعتدال، مثل لحوم الدجاج والحجل وأطراف الماعز، فإن هذه مع جودة الهضم تخرج نفلا قليل النتن.

ومن أدويته الفاعلة بالملح بالخاصية الخطاف المحرق، يذبح ويسيل الدم على الأجنحة ثم يذر عليها ملح ويجعل في كوز مطين ويسد رأسه ويودع التنور، ولأن يودع الزجاج المطين بطين الحكمة أصوب عندي، وكذلك خراء الخطاطيف المحرق بقوة، وقد يحنك صاحب الخناق الملح بالعسل والخل والزيت، وكذلك أورام اللهاة، وقد يحنك أيضا بمرارة الثور بالعسل، ومرارة السلحفاة، وزهر النحاس، ورؤس السميكات المملوحة، خصوصا اللهاة، وكذلك الغرغرة بالسكنجبين المطبوخ فيه بزر الفجل والقلقطار والقلقديس، جيدان لورم النغانغ، ومن المركبات: دواء التوت بالمر والزعفران، ودواء الخطاطيف، ودواء الحرمل، ودواء قشور الجوز الطري، وأقراص اندروس ..» انتهى المراد من كلام ابن سينا.

وكلام ابن سينا طويل جدًا، يقارب العشرين صحيفة، وهذا الذي اخترت نقله منه أردت أن يكون أنموذجًا ومثالاً على ما عند الأطباء من الكلام الطويل المفصل والمتشعب والمعقد في علاج أورام الحلق التي منها أورام اللوزتين، وما في الكثير من هذه العلاجات من الغرابة، وما فيها كذلك من استعمال العقاقير والأدوية التي لا يعرفها غير العشائين المتخصصين، وما في بعضها مما تمجّه النفوس، وتستعيز بالله تعالى من العلاج به، وهذا سببه أن الأطباء العرب

يترجمون ما هو موجود في كتب أطباء اليونان، متغافلين عما يحرم في الشريعة الإسلامية استعماله والعلاج به.

2/ داود الأنطاكي في كتابه «النزهة المبهجة في تشخيص الأذهان وتعديل الأمزجة»

فقد جعل علاج التهاب اللوزتين، هو نفسه علاج أوجاع الحلق واللهاة، أولاً، ثم زاد بذكر علاجات أخرى خاصة باللوزتين، فيحسن -لذلك- أن أنقل كلامه عن أوجاع الحلق بتمامه، وهو قوله:

«أوجاع الحلق واللهاة: وهو جوهر لحي فوق الحنك، يعرض لها ما يعرض لجملة الحلق، وتزيد السقوط والاسترخاء، وربما سدت المجرى، وهذه الأوجاع تكون عن ورم، إن زادت المادة، وإلا ساذجة، وأسبابها: غلبة أحد الأخلاط، فتندفع من الدماغ، وتكثر في الأطفال، فتُشال بالأصابع، وربما قاحت، ويسمى: نزول الحلق، وعلامة الحارّ زيادة الورم، والحرارة، والكائن عن السوداء صلابة الورم.

العلاج: إن أمكن خروج الدم في الحار، فعل، وإلا كفى ماء الشعير، وعصارة الهندباء، والسكر، وشراب الورد، والبنفسج، ومع القبض لب الخيار، أو الترنجيبين، إن غلبت الصفراء، وفي البارد ماء العسل، ولب القرطم، أو العصفر، وبزر الكشوت، وتدهن بدهن الآس، أو القسط، وعند زيادة الاسترخاء تكبس بالعفص المحرق، أو سحيق الآس، أو الشبّ، وقد تدعو الحاجة إلى علاجها بالقطع، وهو على خطر فيه كثير بالبلاد الباردة، وتكبس بعده بقواطع الدم، ومتى اشتد الورم في سائر أجزاء الحلق؛ فمن مجرباتنا: أن تأخذ شيرج، عصارة كسفرة، لعاب حلبة، من كلّ جزء، خل نصف جزء، خولان ربع، يخلط الكل، ويطبخ حتى يبقى الدهن، فيُطلى به فاتراً في المرض البارد، وبارداً في غيره.

ومن مجرباتهم: لعاب سفرجل، طين أرمني، سَمّاق، تنقع في ماء الورد، وتستعمل، وقد تنصب المادة إلى جانبي الحلق، فتنتأ منها الغدد المحشو بها عصب

الفك الأسفل، وتسمى اللوزتين، وقد يشتد الورم، فيضيق المجرى، وتسمى الخوانيق.

والعلاج واحد، غير أن الخوانيق قد تدعو الحاجة فيها إلى فصد القيصال، فإن لم ينجب فعرق اللسان، أو الماق، وربما كفت الحجامة تحت الذقن، ومن المجرب في تسهيل الخوانيق: طبخ الكشوت، والبابونج، والخطمي، والبرشاوشان، والفجل، والتين، والكرفس، مجموعة أو مفردة، بحسب المادة.

ومما جربناه: أن يؤخذ سبستان جزء، حلبة، بزر كشوت، من كل نصف، قشر أصل الكبر ربع، تطبخ بعشرة أمثالها ماء، حتى يبقى الربع، فيمزج بدهن البنفسج، ويكب في الحلق، والطلاء بالمراير مطلقاً يحل الخوانيق، ولمرارة الكبش والثور مزيد خاصية وفائدة.

ومن مجرباتنا هذا الطلاء، وصنعتة: دقيق باقلاء، وحلبة، وشعير، من كل جزء، بزر خطمي، نوى تمر، من كل نصف، شحم حنظل في البارد، طين أرمني في الحار، من الواحد ربع، تسحق وتعجن ببياض البيض في الحار، وشحم الأوز أو الدجاج في البارد، وتطل، مراراً.

وقد وقع في التجارب أن أخثناء البقر، وخرء الحمام، إذا طبخا بالخل ودهن الورد، كان طلاء بالغ النفع في حل الأورام والخوانيق « انتهى كلام داود الأنطاكي.

الفصل الخامس

في بيان الفرق الكبير بين هذه العلاجات المعقدة والعلاج النبوي اليسير

البسيط الفعّال

إن هذه الأدوية المركبة المذكورة في الكتابين، والتي يصعب صناعة الكثير منها على غير المتخصصين، وتحتاج صناعتها دربة وخبرة، وتحتاج إلى صبر، وإلى جهد في الحصول على جميع مكونات الدواء المركب، التي قد يندر الحصول على بعضها، وقد يكون معدومًا في بعض الأحيان، كنت قد اشتغلت أنا شخصيًا مدةً من عمري بتركيب

بعضها، وجربت العلاج بها، وذلك قبل أن أتفطن إلى علاج هذا المرض المروي عن النبي ﷺ.

ومن تأمل ما نقلناه من كلام ابن سينا وداود الأنطاكي في علاج أمراض الحلق واللوزتين، يدرك. من أول وهلة. الفرق الشاسع بين أساليب علاجهم، والأدوية التي يصفونها، وبين ما في الطب النبوي من السهولة والوضوح، واليسر.

وأما الفرق في التأثير والفاعلية، فالتجربة والمشاهدة خير برهان، فقد رأينا التأثير العجيب الخارق للعادة لجميع الأدوية التي وصفها النبي ﷺ.

والتهاب اللوزتين، وأشد منه التهاب الحلق، عالجنه كثيرًا بالقسط الهندي، ولم يتخلف الشفاء في غالبيتها، والله الحمد والمنة.

ومن أسهل الطرق أن يبتلع المريض مقدار ربع ملعقة صغيرة من القسط المطحون، يبتلعه دون ماء، حتى يحتك بحلقه ويلتصق به، ثم يمسك عن الطعام والشراب مدة عشر دقائق، ويكرر ذلك كل ساعة أو ساعتين، فيجد ارتخاء الورم مباشرة، شيئًا فشيئًا، إلى أن يزول بالكلية.

وجربت بنفسني حك حلق المريض واللوزتين بالأصبع المصبوغة بالقسط، وذلك ببلّ الأصبع بالماء ثم وضعها في القسط، فيصير القسط ملتصقًا بها، فندخل الأصبع في فم المريض ونحك به الحلق واللوزتين بشكل سريع وعشوائي، فيزول التهاب بعد دقائق، مهما كان شديدًا، وربما احتجنا في بعض الحالات إلى تكرار العملية بعد ساعة، أو ساعتين، وهذه الطريقة وكذلك التي قبلها فوق تأثيرها في زوال الاحتقان والورم، فإنها تكسب الحلق واللوزتان مناعة عظيمة، فلا يعود الحلق واللوزتان تلتهب بعد هذا، إلا في النادر.

وجرب بعض الإخوة المشتغلين بالطب النبوي تقطير دهن القسط في الأنف، وبعضهم جرب سقي ملعقة كبيرة من هذا الدهن للمريض، ويجد كلهم نفعه في علاج هذه العلة.

الخاتمة

في ذكر بعض ما جربناه في علاج بعض الأمراض بالقسط الهندي

استعملنا القسط الهندي في علاج الكثير من الأمراض، اتباعاً لأمر النبي ﷺ بالتداوي به، وهو الصريح في قوله ﷺ: « إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري»، ووصيته لنا بالتوجه الدائم للتداوي به، بقوله ﷺ: « عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية».

ووجدنا في استعماله الكثير من التأثير الخارق للعادة، فعلى سبيل المثال:

توضع ملعقة كبيرة من القسط الهندي المطحون في كأس من الماء المغلي، ثم يترك حتى يبرد، ويشربه على الريق المصاب بالحصوات في الكلى أو المثانة، أو أي نوع من أنواع التهابات المسالك البولية، أو مغص الكلى، فيجد ذهاب الألم، ويكرره مدة ثلاث إلى خمس أيام، وفي بعض الحالات رأينا فعله مرتين في اليوم، صباحاً ومساءً، فيبرأ من جميع هذه الأمراض، حتى الحصوات يفتتها ولا يُبقي لها أثراً. ونفس هذه الوصفة عالجت بها التهاب البروستات، ونتائج العلاج بها كانت مذهلة.

وأما معجون القسط الهندي بالعسل، وخصوصاً عندما نخلط أنواع عدة متنوعة من العسل، فإن هذا المعجون جربناه مرتين في فتح شرايين القلب المسدودة، ونجحنا في المرتين، وكنت أطلب من المريض تناول ملعقة كبيرة من المعجون مع كأس من حليب البقر، مرتين في اليوم، مدة شهر، وإن لم يتيسر الحليب، فلا بأس، ولكن مفعوله أقوى مع الحليب.

وتناول هذا المعجون بهذه الطريقة علاج فعال في جميع أمراض الكبد، جربناه الكثير من المرات فوجدنا أثره في الشفاء.

وهو علاج فعال أيضاً في أمراض الغدة الدرقية، وقد ظهرت نتيجة استعماله خلال شهر واحد.

وأما الجهاز الهضمي، فابتلاع مقدار ربع ملعقة من القسط الهندي، كفيلاً بتهئية أي نوع من أنواع المغص، وتكرار ذلك كل ساعة أو ساعتين، يزيل آثار فساد الطعام في المعدة، وكذلك آثار التخمّة، وسوء الهضم، وأما عند الشعور بالتسمم وحصول القيء والإسهال معاً، ففعله عظيم.

وقد ذكرت فيما تقدم علاج مرض القولون العصبي بالقسط الهندي، وقلت بأنه يعالج بطريقة اللدود، وذلك بوضع مقدار ربع المعلقة الصغيرة منه داخل الفم، بين الخد والأضراس، ثم البدء في ابتلاع الريق بشكل سريع متواصل، إلى أن ينتهي وجود القسط، خلال دقائق معدودة، ثم الإمساك عن الطعام والشراب مدة خمس دقائق، يفعل ذلك مرتين في اليوم، مدة أسبوع.

وقد احتجنا في إحدى الحالات التي تأخر فيها ظهور التأثير الواضح، إلى تكرار هذا الفعل كل ثلاث ساعات، ما دام المريض مستيقظاً، ثم في اليوم التالي بعد استيقاظه من النوم، طلبت منه تكراره كل خمس ساعات مرةً، ثم في اليوم الثالث خفّضنا الجرعة إلى مرتين في اليوم، فما بلغ اليوم الرابع إلا والمرض لم يبق له أثر والحمد لله.

وعالجنا الصداع النصفي بشم القسط، ثلاث مرات في اليوم، ولكن دون أن نتركه يدخل في الأنف، أي دون أن نسمح لقدر بسيط جداً منه بالدخول، وذلك بوضع مقدار بسيط من القسط المطحون الناعم جداً على ظهر الكف، ثم نفص اليد في الهواء، حتى لا يبقى من القسط إلا الأثر البسيط، فيوضع الأنف عليه ويستنشق بعمق، فيشم رائحته النفاذة دون دخول شيء ظاهر منه في الأنف.

وعالجنا التهاب الأذن بتقطير دهن القسط في الأذن، وقد قدمت طريقة صناعته، وأحسن ما نستعمله في صناعته هو زيت الزيتون، فنقطر حوالي عشر نقاط منه في الأذن، ثم يحرك الصيوان الخارجي للأذن برفق، حتى يساعد في دخول الزيت في ثقبه الأذن.

وكذلك الضرس الموجوع، نبل القطن الذي في طرف العود الذي يستعمله الناس في تنظيف الأذن (مع تحذيرنا دائماً من تنظيف الأذن به)، نبل الطرف القطني للعود بالماء، ونغمسه في القسط الهندي، ثم نضعه على الضرس الموجوع، ونطبق عليه الضرس الذي يعلوه، ويظل المريض طابقاً عليه مدة خمس دقائق، فيخف عنه الألم كثيراً، وفي بعض الأحيان نحتاج إلى متابعة فعل ذلك مدة عشرين دقيقة، نغير خلالها العود كل خمس دقائق، فيخف الألم كثيراً، إلى الدرجة التي يمكن معها النوم، ريثما يجد المريض الوقت لمراجعة طبيب الأسنان، ومرّ علينا حالات انتهى فيها الألم بالكلية.

وجربنا علاج الربو المتقادم الذي مرّ على الإصابة به أكثر من عشرين سنة، بوضع ملعقة كبيرة من القسط الهندي المطحون في كأس من حليب البقر الساخن، ويشربه المريض مرتين في اليوم، وفي حالتين منها زال الربو بالكلية بعد الاستمرار على هذا الدواء مدة أسبوعين، ومريض آخر لم يستفد منه أول الأمر، ولكنه عاد واستعمله بعد مدة فوجد منه فائدة كبيرة، ومريض آخرون لم يستفيدوا من هذا العلاج، ولكن قال لي بعض الإخوة المعالجين إنه جرب العلاج بدخان القسط، يتبخر به المريض بضيق التنفس، وأنه وجد أثره، ومن الواضح أن الأمر يحتاج إلى دراسة يقوم بها مختصون في الجامعات أو مراكز الأبحاث .

وجربنا القسط في مداواة الجروح، وداويت مرة أحد أولادي عندما أصيب بشجة عميقة في رأسه، وكان لا بد من خياطتها في المستشفى، فوضعت له القسط في الجرح، وبقينا نزيله عندما يجف ونضع بدلاً منه قسطاً جديداً، ونجدده له كل أسبوعين، إلى أن التأم التئاماً كلياً، إلا أنني رأيت أنه كان من الأفضل علاجه بالخياطة في المستشفى، وذلك لما استغرقه العلاج بالقسط الهندي من الوقت الذي قارب الشهرين، وأنا هنا إنما أذكر تجاربي والنتيجة التي ظهرت في كل مرة، وأما الأجرح الخفيفة فالقسط يبرئها في مدة بسيطة، جربنا ذلك كثيراً.

ومن أمراض الشيخوخة الشائعة التي أكرمني الله تعالى بالنجاح في علاجها مرض ورم وانتفاخ القدمين، الذي يصيب الكبار في السن عندما يطول جلوسهم وتبدلي أقدامهم، وكانت والدتي رحمها الله قد بلغت الخامسة والثمانين من عمرها، وتورمت قدمها تورمًا كبيرًا، حتى صارتا كالكيسين الممتلئين بالماء، فسألت بعض من سبقوني في رعاية والديهم، واتصلت كذلك بأحد أصدقائي وهو طبيب استشاري في أمراض الشيخوخة، واستمعت إلى وصايا الجميع، وقولهم إن هذا من ضعف الكبد، بفعل الشيخوخة، وأنه لا بد من استعمال الجورب المطاط الذي يضغط على القدمين، وجعل القدمين على وسادة لتكونا مرفوعتين عند الجلوس، وكذلك عند النوم، وقمت بفعل ذلك كله، ولم أجد أي نتيجة، فنصحتني البعض بإعطاء الوالدة دواءً مدرًا للبول، ففعلت ذلك، وصارت كثيرة التبول، ويرتخي الورم ويخف ما دمت أعطيها هذا الدواء، فإذا ما انقطعت عنه يعود الورم كما كان.

فألهمني الله تعالى تمرّخ قدميها بزييت الزيتون المطبوخ فيه القسط الهندي والقرنفل والفلفل الأسود، وكنت صنعت زيت القرنفل قبل ذلك بسنوات واستعملته في حالة أخرى، وكذلك زيت الفلفل الأسود، ورأيت أثرهما الكبير في تنشيط الدورة الدموية في منطقة حول الركبتين، ولم أكن في تلك الفترة متنبها للقسط الهندي والعلاج به.

فلما صنعت لها هذا الزيت، ومرّخت قدميها به؛ ثلاث مرات في اليوم احمرتا بعد يومين، ثم صار اللون يزداد قتامة، فتوقفت عن تمرّخهما بالزيت، حتى صرت خائفًا من أكون قد تسببت للوالدة بمرض جديد، ولكنني لاحظت ارتخاء الورم قليلًا، ثم في اليوم التالي رأيت ارتخى أكثر، وبدأ اللون الطبيعي يعود للقدمين، فرجعت إلى التمرّخ، فلم يمض يومان آخران إلا وزال الورم كله، وصرت أضع لها وسادة تحت قدميها وقت النوم فقط لمنع عودة الورم إليهما، وحصل ذلك فعلاً، فلم أحتج

بعدها إلى تمريرهما بالزيت، وبقيتا في الوضع الطبيعي إلى أن توفاهما الله، رحمهما الله وغفر لهما، وأسكنهما فسيح جناته.

وبعد، فهذا ما تيسر لي ذكره من مجرباتي الشخصية، وعند غيري من المشتغلين بالعلاج بالطب النبوي والطب القديم الكثير من المجربات الأخرى، وقد ذكر لي أحد الأصدقاء من المشتغلين بهذا الطب أنه عالج العقم عند النساء مرات عديدة، بالقسط الهندي معجونا مع العسل ومعه عشب آخر، وذكر لي آخر صناعته لمعجون يقضي على السعال بأنواعه، وذكر لي ثالث صناعته شرابا فعلا في إحياء القوة الجنسية عند الرجل، وهكذا.

وقد ذكرت في المقدمة أننا بحاجة إلى جمع جهود وتجارب الممارسين للطب النبوي والطب القديم، وذلك بإنشاء جمعية أو هيئة يشترك في عضويتها جميع المشتغلين بهذين النوعين من الطب، فإن الله تعالى لا يزال يفتح على عباده ويلهمهم أساليب من العلاج لم تكن معروفة من قبل.

